الغد الجديد

مجلــة ثقافيـة أدبيـة اجتماعيـــة

الغد الجديد.. العدد التاسع والثلاثون.. السنة الثانية عشر.. آذار 2021

تصـدر عـن جمعيــة المنــار

المحرر المسؤول: محيي الدين خلايلة

هيئــة التحريــر:
علي قادري

سكرتيرة التحرير: سميرة خلايلة

ترسل المواد مطبوعة على
البريد الالكتروني
algad.aljaded@gmail.com
تلفاكس: 049081554
نقال: 0526876280
مجد الكروم، ص. ب. 151 رمز بريدي 20190

المواد الموقعة تعبر عن آراء أصحابها الإعلانات على مسؤوليـة المعلنين
المواد التي تصل الى الغد الجديد لا تعاد الى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

موقع مجلة الغد الجديد: www.almnnar.com

www.almnnar.com

محتويات العدد

فاتحة العدد 4

الغد الجديد

مقابلة مع النّائب الدّكتور يوسف جبارين..... 6

الغد الجديد

صيّاح كنعان باقٍ في الذّاكرة:

صيّاح كنعان ابو نضال فارس ساحات وميادين يركا 12

محيي الدين خلايلة

الابن البارّ لبلده وشعبه وحزبه..... 15

محمد نفّاع

وداعًا أبا نضال..... 17

أباد خطّار

وصيّته الأخيرة 20

د. جمال شريف

مآثر سيرة فقيدنا..... 22

غالب سيف

أخوك الحزين..... 29

محمد رمّال

رحيل رجل المواقف وأيقونة يركا..... 31

مليح نصرة

وخفت ضوء السّراج 35

هادي زاهر

مساهمة في نقاش سياسيّ..... 36
د. رائف زريق
مصالح جديدة وأفكار قديمة 44
إياد الحاجّ
يوم المرأة يوم عيب على الرّجل.....50
بروفسور إبراهيم طه
جبرا إبراهيم جبرا .. بائع القلق في مجتمعات الطّاعة والرّقابة..... 53
د. باسيليوس بواردي
دفاعًا عن الذّبابة.....59
علي قادري
الوشم (قصّة)..... 65
سميرة خلايلة
المنفى والاغتراب في قصيدة «أضاعوني» للشّاعر عزّ الدّين مناصرة 68
د. روز اليوسف شعبان
بسيسو والقصيدة التّحريضيّة 77
رشدي الماضي
بقعة ضوء على قصّة «دجاجة دندن»..... 79
فتحيّة امين
بكاء عل هدى..... 82
د. نجيب صعب
«البصّة» 88
محمد نجيب حسين

فاتحة العدد..

في الانتخابات مقولة ..

بعد انشقاق الحركة الإسلاميّة الجنوبيّة عن الصّفّ الوطنيّ وعن القائمة المشتركة، ومواقفها الفالتة من كلّ عقال، وانجرارها بالمطلق إلى فعل المقايضة بين الموقف السّياسيّ الوطني وحقوقنا المدنيّة، بات من الواضح أنّنا ذاهبون في انتخابات الكنيست في الثالث والعشرين من آذار، مع جماهير شعبنا لنكون أمام نهجيْن سياسيّيْن، الأول الذي تمثّله مركّبات القائمة المشتركة الثلاثة (الجبهة، التّجمع، العربيّة للتّغيير) وهو النّهج الذي يرى بالعمل السّياسيّ فعلا تراكميّا ونضاليّا بهدف التّأثير لما فيه مصلحة مجتمعنا وتمثيل قضاياه القوميّة والمدنيّة وربطهما بالمكانة السياسية لنا كجماهير عربيّة، والنّهج الثاني هو النّهج الذي تمثّله الحركة الإسلاميّة الجنوبيّة بقيادة منصور عبّاس والذي يذهب زاحفًا نحو المقايضة على موقف شعبنا الوطني ببعض الفتات المتمثّل بالميزانيات التي ستمنّ علينا بها حكومة نتنياهو القادمة في حال تمّ تشكيلها بالاستناد على أعضاء القائمة الموحّدة.

بين هذا وذاك فإنّ الكلمة الفصل هي للنّاس، وهذا النّهج ليس جديدًا على شعبنا، هذا النهج القديم الجديد، هذا النّهج قادته قيادات عربيّة كانت مذدنبة لأحزاب السّلطة والمبام التّاريخيّ والمفدال وغيرها، وماذا كانت نتيجة هذه السياسة القديمة الجديدة التي يحاول منصور عبّاس استنساخها، النتيجة كانت أنّ شعبنا لفظها ورفضها وكان يعطي بغالبيته الساحقة أصواته للتّيار الوطني وخاصّة بعد يوم الأرض الخالد، وفي كلّ المحطّات الانتخابيّة التي كانت تدور فيها المعركة على إبراز التناقض المركزيّ بين حكومات إسرائيل العنصريّة وحقوق شعبنا القوميّة والمدنيّة.

إنّ محاولة الزّحف والتّضليل والكذب والتّحريض التي تقودها قيادة الحركة الإسلاميّة الجنوبيّة هي ظاهرة غير مسبوقة في أدبيّات العمل السّياسيّ وفي العلاقة بين الأحزاب، وآخرها كان رفض الإسلاميّة الجنوبيّة التّوقيع على فائض أصوات مع القائمة المشتركة وخروجهم ببيان أقلّ ما يقال فيه أنّه تجاوز لكلّ الخطوط الحمراء في العلاقة بين الأحزاب منذ خوضها انتخابات الكنيست إلى اليوم. ماذا يعني أن تقامر قيادة الإسلاميّة الجنوبيّة بعشرات آلاف الأصوات العربيّة دون أن توقّع على فائض أصوات في حال تجاوزت نسبة الحسم، وإلى صالح من ستُهدر هذه الأصوات إن لم تكن للقائمة المشتركة لتزيد من احتمال تمثيل الجماهير العربيّة ومصالحها بعضو كنيست من إحدى القائمتيْن. يمكننا القول أنّه حتّى قبل تشكيل القائمة المشتركة وعندما كانت الأحزاب تخوض انتخابات الكنيست بقوائم مستقلة، كانت

توقّع فيما بينها على ميثاق شرف وعلى اتفاقيّة فائض أصوات، حتّى لو كان التّوقيع يدخل من باب الأمر التّقنيّ إلاّ أنّ رسالته الاجتماعيّة والسياسيّة والأخلاقيّة مفادها انّنا كمجتمع نحافظ على نسيجنا الاجتماعيّ ولن تفرّقنا الطّروحات والاختلافات السّياسيّة وأنّ همّنا واحد ومشترك في وجه العدوّ الأساس الذي يتربّص بنا !

إنّ هذا الانفلات، وهذه المقامرة التي تقودها الحركة الإسلاميّة الجنوبيّة تحيلنا إلى التّفكير بأمريْن اثنيْن، إمّا أنّنا امام مخطّط كبير تحرّكه أصابع خفيّة وهي القوى المعادية لمصالح شعبنا والمعنيّة بزرع الفتنة، أو أننا أمام سلوك غير مسؤول لبعض القيادات التي لا تدرك معنى هذا السّلوك الذي قد يقود إلى حالة احتراب داخليّة، خاصّة بعد موجة التّحريض على القيادات السياسية في القائمة المشتركة، والنتيجة في كلتا الحالتين هي نتيجة لا تُحمد عقباها بعد أن استطاعت القائمة المشتركة في السّنتيْن الأخيرتيْن من تعزيز شرعيّة الجماهير العربيّة ومكانتها في المعترك السّياسيّ الإسرائيليّ وان تكرّس عوامل الوحدة لمصلحة شعبنا . وعلى شعبنا بين هذين النّهجين أن يقول كلمته، وأن يقول موقفه، ونحن نعرف أنّ شعبنا لا تنطلي عليه أكاذيب نتنياهو وحزب الليكود باقتناص بعض أصوات ضعاف النّفوس، فشعبنا يعرف من أين تؤكل الكتف وكيف بإمكانه أن يحاسب قيادته السّياسيّة.

عن الحراكات الشّعبيّة ..

كم نفاخر مباهاة وزهوًا بالالتفات إلى الحراك الفحماويّ الموحّد، خاصّة وأنّه أثبت للقاصي والدّانيّ أنّ الميدان هو سلطان العمل السّياسيّ والوطنيّ، والنّضال الشّعبي قادر أن يعيد ثقة الجماهير بالقدرة على التّأثير وعلى إعادة الأمل والرّدّ على الإحباط والعجز. أمّ الفحم ومعها أخواتها من القرى والمدن العربيّة في الجليل والمثلّث والنّقب تُعيد إلى الأذهان المظاهرة الجبارة في مجد الكروم قبل أكثر من عامّ، وبين هاتين المظاهرتيْن بات من الواضح إدراك النّاس إلى أنّ تصويب الغضب والفعل الاحتجاجيّ يكون بأساسه إلى المؤسسة الحاكمة وأذرعها الأمنيّة وخاصّة شرطة إسرائيل، بصفتها المسؤولة المباشرة عن توفير الأمن الشّخصيّ للنّاس، والجميع يدرك اليوم أنّ الخطة الحكوميّة الهزيلة التي قدّمها نتنياهو للمجتمع العربيّ هي خطّة باستطاعته أن يرميها إلى "حيث ألقت"، فعندما تتوفّر المشيئة لدى مجتمعنا فهو قادر على أن يفرض على الحكومة في إسرائيل أيّة خطط يريد، نحن لسنا بحاجة إلى ان نملأ قرانا العربيّة بمحطّات للشرطة وتشجيع الخدمة المدنيّة، نحن بحاجة انتزاع قرار سياسيّ بهذا الخصوص وتبنّي خطّة لجنة المتابعة وتوفير كامل الميزانيّات لتطبيقها واجتثاث آفة العنف والجريمة والجريمة المنظّمة وجمع السّلاح، وهذا ما سيكون في قادم الأيّام. شعبنا على العهد في كلّ المعارك النضاليّة شعبيًّا وبرلمانيًّا.

أسرة الغد الجديد

النّائب الدّكتور يوسف جبارين في زاوية ضيف العدد/لمجلّة الغد الجديد

حاوره: محيي الدين خلايلة وعلي قادري

السّؤال الأول: لا بدّ بداية من الحديث عن «الحراك الفحماويّ الموحّد» الذي نجح في الشّهريْن الاخيريْن من لفت الأنظار في قضية رفع سقف الاحتجاج في وجه مؤسّسة الشّرطة، ومظاهرة عشرات الآلاف القطريّة التي استضافتها مدينة أم الفحم، وقد برز دوركم أنت والدكتور سمير محاميد إلى جانب هذا الحراك، وقد تعرّضتما لإصابات متوسّطة، ماذا تحدّثنا عن هذه التّجربة؟

د. جبارين: الحراك الفحماوي وُلد من رحم معاناة مجتمعنا العربي الّذي يعاني الأمرّين تحت وطأة العنف الّذي باتَ مثل السرطان الّذي ينهشُ بجسد المجتمع. أتى هذا الحراك ليعبّر عن صرخة أهالي أم الفحم وصرخة كل المواطنين العرب الّذين ينادون بالعيش الآمن ويطالبون بحقّهم الأساسيّ في الحياة بأمن وأمان في بلداتنا ومجتمعنا.

هذا الحراك السّلمي مُستمرٌ منذ اكثر من شهرين، ويطالب الشرطة وسلطات تنفيذ القانون بأخذ مسؤوليتها المنصوص عليها في القانون بملاحقة المجرمين، فتح تحقيقات، تقديم لوائح اتهام وجمع الأسلحة من بلداتنا. من الواضح أن هذا الحراك قضّ مضاجع الشرطة منذ يومه الأول وقد حاول عناصر الشرطة مرارًا وتكرارًا قمعه بأساليب عنيفة، كان اشدّها الاعتداء الوحشي على المتظاهرين في الاسبوع السابع للاحتجاج.

ما طالني انا ود. سمير محاميد هو ما طال المتظاهرين من عنفٍ واعتداءاتٍ شرطيّة خطيرة، شملت استعمال الرصاص المطاطي وقنابل الغاز والمياه العادمة وقوّات «مستعربين». وقد شهدنا على مدار الأسابيع الماضية الاعتداءات الخطيرة والمتكررة من عناصر الشرطة وايضًا من قبل وحدات «المستعربين» ضد المتظاهرين، وشهدنا القاء قنابل هلع، واستخدام الغاز المسيل للدموع بما في ذلك اتجاه النساء والأطفال، بالإضافة الى استخدام المياه العادمة الّتي تشكّل خطرًا صحيًا على المتظاهرين، وكل هذا دون وجود اي سبب يبرر القيام بذلك. هذا بالإضافة الى الاعتقالات العنيفة والاعتداء على المعتقلين أيضًا بعد اعتقالهم. هذه الممارسات ضد المتظاهرين هي ممارسات غير قانونية وهذا العنف الشرطيّ الفاضح يدلّ مجددًا على تعامل الشرطة مع

المواطنين العرب كأعداء وليس كمواطنين يمارسون حقّهم الأساسيّ بالتّظاهر والاحتجاج، وذلك دفاعًا عن حقّ أساسيّ بالعيش الآمن.

الردّ على هذه التعامل الشرطيّ جاء في المظاهرة الأخيرة الّتي شهدتها مدينة أم الفحم في الأسبوع الثامن للاحتجاج، وذلك من خلال مشاركة عشرات الآلاف من أهالينا في المظاهرة - وكان هذا المشهد كفيلًا بإرسال رسالة للشرطة وللحكومة مفادها أن هذه الأساليب القمعية العنيفة ستزيدنا إصرارًا على مواصلة النضال وسيواصل هذا الحراك والاحتجاج طرح كافة مطالبه والعمل على تحقيقها.

السؤال الثاني: ونحن على مشارف انتخابات الكنيست، وبعد الانشقاق الذي حدث في القائمة المشتركة، وخروج الإسلاميّة الجنوبيّة، كيف تقيّم الالتفاف الجماهيري حول القائمة المشتركة ومشروعها السّياسي؟ هل سيعزف النّاخبون عن المشاركة؟ كلّ الاستطلاعات تشير إلى انخفاض نسبة التّصويت.

د. جبارين: لا شكّ أنّ هنالك شعورًا بخيبة أمل لدى قطاعات من مجتمعنا بعد انشقاق الحركة الإسلامية الجنوبية عن القائمة المشتركة، خاصةً بعد أن شعر المواطنون العرب حجم قوتهم، الكميّة والنوعيّة، بعد الإنجاز الكبير الّذي حققناه في الانتخابات الأخيرة وحصولنا على الـ 15 مقعدًا الّذين ساهموا بالرّفع من مكانتنا البرلمانية والسياسية. ولا شكّ أنّ السّواد الأعظم من مجتمعنا كان ليفضّل أن يرى قائمة مشتركة بأضلعها الأربعة تواصل المسيرة الوحدوية.

لا شكّ أنّ الخطوات والتصريحات والمواقف التي صدرت عن الزملاء في القائمة الأخرى وإقدامهم على شقّ وحدة الصّف بخروجهم من القائمة المشتركة ساهمت بإعادتنا خطوة الى الوراء من ناحية العمل المشترك والتكافل الاجتماعي، وهذا ما انعكس ايضًا في استطلاعات الرأي وفي

التقديرات حول نسبة التصويت المتوقعة. لكنّني أقول بثقة، ومن خلال تواجدي مع أهالينا في المثلث والجليل والنقب والساحل، إنّ القائمة المشتركة لا تزال هي الخيار الأقرب على قلوب الناخبين، وهي المشروع الوطني الّذي يعبّر عن وحدة الصّفّ الّتي تريد جماهيرنا أن تراها. هذه حقيقة لا لبس فيها، وكلّي ثقة أنّ هذه الحقيقة ستترجم في صناديق الاقتراع في يوم الانتخابات دعمًا لمشروع القائمة المشتركة من أجل أن نواصل مسيرتنا الوطنية والوحدوية – مسيرة الكرامة وانتزاع الحقوق بهامة مرفوعة.

السؤال الثالث: هل ستوصون بعد الانتخابات على يائير لبيد، أم أنّ تجربة التّوصية على غانتس قد تحول دونكم ودون التّوصيّة، وكيف يمكن للقائمة المشتركة أن تكون جسمًا مؤثّرا على تغيير السياسات اتجاه العرب في إسرائيل في هذه الانتخابات أو انتخابات مقبلة؟

د. جبارين: أعتقد أن هذا السؤال سابقٌ لأوانه وأنه من المبكّر إعطاء جواب عليه. من الصحيح أن نرى بعين الإيجاب التصريحات الأخيرة الّتي عبّر عنها رئيس حزب «يش عتيد» يائير لابيد وبعض النّوّاب في حزبه، وبحسبها هناك اعتراف واضح وعلنيّ بشرعيّة المشاركة السياسية للمواطنين العرب وشرعيّة القائمة المشتركة والنّوّاب العرب، لكن بين هذا وبين التوصية على لابيد لا تزال مسافة طويلة سيكون على لابيد أنّ يقطعها وخاصّة بما يتعلّق بالمواقف السياسية نحو القضية الفلسطينية واعترافه بحقّ شعبنا تقرير المصير وكذلك بقضية المساواة التامة للمواطنين العرب والاعتراف بحقوقنا الجماعية كأقلية قومية.

علينا أن لا ننسى أن أيّ حكومة من المحتمل أن يُشكّلها لابيد قد تحوي داخلها عناصر يمينية متطرفة مثل جدعون ساعر ونفتالي بينيت، وبلا شكّ أنّنا لا نستطيع منح هؤلاء مقاليد ومفاتيح الحكم في الدولة. نعم نحنُ ملتزمون بالعمل على إسقاط نتنياهو وبذل كلّ جهد نحو ذلك، لكنّ المشكلة ليست فقط في شخص نتنياهو، بل ايضًا في البرنامج السياسي الّذي يقوده، برنامج تعميق العنصرية والتّمييز والاحتلال، برنامج التّحريض والاستعلاء وتشريع القوانين العنصرية، وعليه، فإنّ نضالنا هو نضالٌ ضدّ كافّة السّياسات اليمينية وضدّ كلّ من يتبنّاها، وليس فقط ضدّ شخص بنيامين نتنياهو.

لا بدّ لي من الإشارة الى نُقطةٍ هامّة أرى أنّها تغيب أكثر فأكثر عن النّقاش السّياسي الدّائر، رغم أهميتها الكبيرة، وهي أنّ التّأثير السّياسي ليس مرهونًا فقط بالتوصية على مرشّحٍ معيّن أو دعم ائتلاف معيّن من الخارج، فقد أثبتنا على مدار السنين واثبتت تجربتنا التاريخية في الحزب والجبهة أننا نستطيع من مواقع المعارضة تحقيق إنجازات هامّة لأهلنا، من خلال متابعة قضاياهم الحارقة يوميًا في لجان الكنيست والعمل أمام الوزارات الحكومية المختلفة، وكذلك من خلال دورنا الميدانيّ في العمل الشعبيّ والجماهيري، بالإضافة إلى دورنا في تمثيل قضايانا أمام

المجتمع الدّوليّ والمؤسّسات الدّوليّة.

هذا ما قمنا به دومًا كنوّاب منتخبين عن أهلِنا، وهذا ما سنستمر بالقيام به دون علاقة بقضيّة التّوصية وأمام اي حكومة يتمّ تشكيلها.

السؤال الرابع: تتجهّز إسرائيل للردّ في الأشهر القادمة على فتح ملفّات في المحكمة الدّولية للجنايات بحقّها بارتكاب جرائم حرب في المناطق الفلسطينيّة المحتلّة، ما تقديرك لآفاق هذه الملفات قانونيًا ودوليًّا؟

د. جبارين: لا شكّ أنّ إسرائيل قامت وما زالت تقوم بجرائم حرب مستمرة من خلال سياساتها الاحتلالية تجاه الشعب الفلسطيني الّذي يرزح تحت احتلالها الغاشم، كما ويعرّف القانون الدولي السرطان الاستيطاني في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ بأنّه يشكّل جريمة حرب بحسب اتفاقية روما التي أسّست لإقامة محكمة الجنايات الدولية. وقد خرقت اسرائيل العديد من المعاهدات الدولية الّتي وقّعت عليها في الأمم المتحدة، ومن قرارات مجلس الأمن الدّولي. من الواضح أنّه لولا توفّر الأساس القانونيّ والأدلة الواضحة لما كانت محكمة الجنايات قد قرّرت بفتح ملفات تحقيق في الجرائم الّتي ارتكبتها الحكومات الإسرائيلية.

النصوص الحقوقية في القانون الدولي توفّر حماية مطلقة للحقّ الفلسطيني بالاستقلال الوطني وإقامة الدّولة الفلسطينية، وذلك في المحاور الثلاثة المركزية للقضية الفلسطينية، وتشمل حقّ الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره وإقامة دولته ذات السيادة الوطنية، قضية عودة اللاجئين الى وطنهم بحسب قرارات الأمم المتحدة، وكذلك قضية مكانة القدس كعاصمة الدولة الفلسطينية.

علينا أن لا ننسى أنّ المدعية العامة في محكمة الجنايات الدولية، فاتو بنسودا، أشارت الى ضرورة فتح تحقيق بعد فحص أولي استمر عدّة أعوام، وأنها أكدّت أنّ جرائم حرب ارتكبت أو ترتكب في الضفة الغربية، القدس الشرقية وقطاع غزّة، وعليه نحن نترقّب تطوّرات المسار الدّولي القضائي والجنائي الهام، الّذي آمل أن يشكّل في نهاية المطاف عاملًا هامًا لإرغام اسرائيل بالكفّ عن سياساتها الكولونيالية الاحتلالية وعن جرائم الحرب الّتي تمارسها بحقّ الشّعب الفلسطيني.

القضية الفلسطينية هي امتحان للشرعيّة الدّولية من الناحية الحقوقية والأخلاقية، وإذا فشل القانون الدّولي والمؤسّسات الدّولية التمثيلية في نصرة القضية الأعدل اليوم في العالم، فهذا مؤشّر خطير على تراجع المنظومات الدولية وعلى سيطرة منطق القوة و»قانون الغاب». نحن نقول أن قضيّتنا عادلة وتدعمها كلّ المعايير والمواثيق الدّولية حول حقوق الشّعوب بتقرير مصيرها.

السّؤال الخامس: كيف ترى مستقبل القائمة المشتركة في حال لم ينجح أحد الأطراف بتشكيل حكومة والذّهاب إلى انتخابات خامسة. أين يمكن أن تتموضع القائمة

المشتركة على الخارطة السياسيّة؟

د. جبارين: نحن نعرف من هو نتنياهو وما هي مخططاته السياسية، فنتنياهو شخصيًا كان وراء تشريع قانون القومية اليهودية وقانون كامينتس الانتقاميّ ضدّ بيوتنا العربية، وكذلك قانون منه رفع الآذان الذي نجحنا في منع تشريعه. نتنياهو هو من خطّط مع حليفة ترامب صفقة القرن التي تتنكر لحقوق شعبنا الفلسطيني وتشمل ذلك البند حول الترانسفير السياسي لأكثر من 300 الف مواطن عربي من اهالينا في المثلث. ذاكرتنا ليست قصيرة، ومن هنا فإنّ من يطرح نهج مقايضة نتنياهو وأحزاب السلطة فهو يعيد نفسه الى المربع الأول الذي رفضته جماهيرنا منذ النكبة، منتهجة طريق النضال الشعبي والكفاح الجماهيري. شعبنا اجترح مسيرة نضالية طويلة وقدّم تضحيات غالية في سبيل معركة البقاء والتجذر في وطننا، بكرامة وطنية وهامات مرفوعة. وابدًا على هذا الطريق.

إنّ الذّهاب إلى انتخابات خامسة هو سيناريو فعلًا مُحتمل في ظلّ الخارطة السياسية الحالية الّتي نراها حاليًا في استطلاعات الرأي وايضًا من خلال المواقف الّتي يعبّر عنها كلّ حزبٍ. لكن بعيدًا عن الخارطة السياسية الحالية أو المستقبلية فإنّ موقع القائمة المشتركة سيكون دومًا في الاتجاه المناوئ والمناهض لسياسات تعميق الاحتلال والاستيطان والمناهض لسياسات التمييز القومي، ولا يهمّ ما هي التركيبة السياسية القادمة. نحنُ سنكون في طليعة النّضال لصالح قضايا شعبنا وقضايا جماهيرنا العربية من أجل السلام، المساواة المدنية والقومية والعدالة الاجتماعية.

لدينا مشروع نطرحه، وهو مشروع دولة المساواة – المساواة اليومية والقومية والاقتصادية.

السؤال السادس: يبدو أحيانًا أنّ هنالك شعورًا من اليأس يجتاح مجتمعنا في ظل تفشّي وباء العنف والجريمة، بينما نرى من ناحية أخرى تصعيدًا مباركًا وهامًا للعمل الجماهيري الاحتجاجي.

كيف تنظر الى قضية تفاقم العنف والجريمة، ما هي جذورها وكيف يستطيع مجتمعنا تجاوزها؟

د. جبارين: الحديث عن ظاهرة العنف والجريمة في مجتمعنا العربي يتطلّب نظرة شموليّة وتوصيات مهنية تأخذ بعين الاعتبار التمييز التاريخي في تخصيص الميزانيات والموارد، النسبة العالية للفقر والبطالة، الافتقار للأراضي والمباني السكانية والخدماتية، عدم وجود أماكن صناعية وتشغيل، وكذلك التركيز الاجتماعي على القيم الفردانية على حساب التكافل الاجتماعي في مناهج التعليم وسياسة التجهيل، هذا بالإضافة طبعًا الى التواطؤ الشرطي وعدم قيام الشرطة

بواجبها حسب القانون بل التعامل مع ثقافة العداء للعرب من قبل الشرطة وقيادتها كحالة طبيعية، وكلّ هذه هي أسباب تغذّي ظواهر العنف والجريمة وتعمل على تفاقمها واستفحالها.

كنتُ قد حذّرتُ قبل عدّة سنوات أنّ ظواهر العنف في مجتمعنا قد تتدهور أكثر الى حالة «حرب أهلية»، وقد اعتقد البعض حينها أنّ هذا الوصف يحمل مبالغة ما، لكننا اليوم امام هذا التصعيد الدموي في بلداتنا نسأل: هل وصلنا الى حالة حرب أهلية بمجتمعنا، وخاصةً مع هذا الانتقال الخطير من العنف المجتمعي الى الجريمة والجريمة المنظمة؟

اعترفت الشرطة الاسرائيلية على لسان قياداتها في اكثر من مناسبة، ان ملاحقة منظمات الاجرام ومحاصرتها في مركز البلاد في السنوات الأخيرة دفعتها الى البلدات العربية والى اطراف البلاد عامّة. هذا الاعتراف يكشف عمليًا ان قيادة الشرطة لم تكترث بهذه النتيجة، في افضل تقدير، او انها عمدت للوصول لهذه النتيجة، في تقدير واقعي ايضًا. وإلا، فما معنى ان تؤدي حملة مدروسة من جهاز الشرطة الى انتقال منظمات الاجرام من مركز المجتمع اليهودي الى مركز المجتمع العربي وما بحمله ذلك من مخاطر على النسيج الاجتماعي في البلدات العربية؟

اما مراقب الدولة، فقد أشار في تقاريره الرسمية بوضوح الى قضايا تتحمل الشرطة والأجهزة الرسمية مسؤوليتها المباشرة في سياق فوضى السلاح وتفاقم العنف والجريمة في المجتمع العربي، ومنها: ان الجيش الاسرائيلي هو مصدر رئيسي للسلاح الذي يصل الى ايدي المواطنين، ان الشرطة لا تقوم بالتحقيقات من قبل محققين مهنيين في مراكز الشرطة الأمر الذي يؤدي الى عدم تقديم لوائح اتهام في الغالبية الساحقة من ملفات التحقيق في حوادث اطلاق الرصاص، هذا بالإضافة الى ثقافة معاداة المواطنين العرب (كما اشار اليها تقرير لجنة اور) والتعامل الشرطوي معهم بعدائية دائمة وبنظرة دونية.

علينا مواصلة تصعيد الضغط الجماهيري والحراك الشعبي الواسع على الشرطة لكي تقوم بدورها بجمع السلاح ومكافحة العنف والجريمة، إقامة مجلس لمناهضة العنف في كل بلدة من بلداتنا، الى جانب المبادرة لحملة جماهيرية توعوية ممنهجة، تشمل ورشات عمل ومحاضرات ومناشير تثقيفية، تهدف إلى نبذ التعصّب العائلي والطائفي والحزبي والحاراتي ونبذ التحريض والضغينة، ونبذ ظروف الشرذمة، وتعزيز الانتماء الوطني والقومي وصقل الاعتزاز بالهوية القومية والإنسانية. امامنا الكثير من العمل، وهنالك الكثير من المبادرات الّتي علينا العمل على تحقيقها - واهمها الخطة الاستراتيجية التي وضعتها لجنة المتابعة العليا بعد عمل مهني وشمولي بالتعاون مع اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية، كإخراج تفاصيل هذه الخطة الى حيّز التنفيذ يتطلب تضافر الجهود بين كل فئات وشرائح وأطياف مجتمعنا قاطبة. هذه مسؤوليتنا جميعًا، وهذا واجب الساعة.

صيّاح كنعان
ابو نضال
فارس ساحات وميادين يركا

محيي الدين خلايلة

القلب يحزن والعين تدمع على فراق القامات الكبيرة العالية أمثال أبي نضال صيّاح كنعان، ابن قرية يركا الجليليّة، هذا البلد العريق، البلد صاحب التاريخ الوطني المشرّف، وخاصّة أثناء النّكبة 1948، عندنا هُجّر المئات من القرى الفلسطينيّة المحاذية ليركا، كان لأهالي يركا الدّور الكبير المشرّف في احتضان اللاجئين الذين اتّجهوا شمالاً نحو لبنان ومنعوهم من السّير إلى الحدود واحتضنوهم في بيتوهم أشهرًا وسنين عديدة، وما زال الكثير منهم أحياء لغاية اليوم ويشهدون على هذا الدّور الذي لعبته قرية يركا في تلك الفترة.

ليس غريبًا على هذا البلد أن ينجب إحدى الشّخصيات العريقة الوطنيّة، صاحب السيرة الحسنة وصاحب الذّوق الرّفيع والمعشر الطّيّب، البسمة التي لا تفارق وجهه أبدًا. كان صاحب رسالة إلى آخر يوم في حياته.

تعرّفت على صيّاح كنعان أبي نضال في السنوات الأولى من سبعينيّات القرن الماضي عندما عملنا سويًّا في مصانع القضماني في قرية يركا، مصانع الصّلب والحديد، أنا كنت في مقتبل العمر وأبو

وداعا رفيقنا الاصيل

القائد الرفيق الشيخ

المرحوم وطيب الذكر صياح

كنعان، وحاجة مسارنا

الى جنان الخلد ايها الباقي فينا

نضال كان يرأس لجنة العمّال والموظّفين في تلك الفترة، المئات من العمّال والموظّفين عملوا في المصنع من قرى ومدن الجليل، وأبو نضال كان المدافع عن العمّال وحقوقهم رغم كلّ التّهديدات التي كان يتلقّاها من الإدارة ومن الهستدروت ولكنّه لم ينحن ولم يتراجع قيد أنملة عن هذه المواقف المشرّفة في تلك الفترة. كان من الصّعب أن تقول كلمة الحقّ في وجه الباطل، كذلك كان له الدّور الكبير في نشر الفكر الوطني العربي الفلسطيني الملتزم في بلده يركا، وهذا كان من الصّعب جدًّا في تلك الظروف، أن تنشر فكرًا ورسالة سياسية بهذا الحجم في مجتمع كان حاضنة للرّجعية المحليّة والإقليميّة، وكان صوته يجلجل في وجه المناهضين لهذا المشروع الوطني أسوة برفاقه أبي حيدر خطّار رحمه الله والعديد من الشّخصيّات الوطنيّة والاجتماعيّة، كذلك كان له الدّور الكبير في تجنيد الشّباب إلى صفوف الحزب الشّيوعيّ والشبيبة الشّيوعيّة، وتسجيلهم في جامعات الدّول الاشتراكيّة والالتحاق بسلك التّعليم في الاتحاد السوفياتي ومنظومة الدّول الاشتراكيّة في حينه. وأول الأطباء والمهندسين والمحامين كانوا من هذه البعثات التي كان لأبي نضال الدّور الكبير والفاعل في ضمّهم وإرسالهم للدّراسة.

كلّ أهالي يركا بدون استثناء يشهدون على تلك المواقف وعلى الدّور المشرّف، ولأبي نضال دور إنسانيّ كبير، وأنا استمعت إلى الكثير من القصص حول أخلاق الرّجل، فشقيقي الأكبر حدّثني والعديد من الشّخصيات من كفرياسيف وأبو سنان والقرى المجاورة، بعد أن ترك أبو نضال مصانع القضمانيّ افتتح محلا تجاريًّا للحديد ولمواد البناء، وكان يتوجّه للأصدقاء والرّفاق وللناس المحتاجين أن يأخذوا موادّ بناء وأن يبنوا بيوتهم، خاصّة للفقراء، وكان يشجّعهم، فهذا موقف ودور إنسانيّ كبير جدًّا، ولا يستطيع كلّ إنسان أن يقف هذه المواقف ويتحوّل إلى بنك، مع قلّة إمكانيّاته الماليّة في تلك الفترة، ولكنّ إنسانيّته ومبدئيّته وانتماءه لهذه الشريحة من النّاس جعلته يتوجّه لهم، ولغاية اليوم فإنّهم يشهدون على مواقف أبي نضال صيّاح كنعان.

أبو نضال كان له الدّور الكبير كذلك في الحفاظ على النّسيج الاجتماعيّ في يركا ومنطقة كفرياسيف وأبو سنان والجليل الغربيّ، كان من الأصوات المرتفعة دائمًا أنّنا عرب أقحاح وجزء لا يتجزّأ من الشّعب العربيّ الفلسطينيّ، وعلينا تعزيز هذا الانتماء لهذا الشّعب العظيم، وليس صدفة أنّ في مماته أوصى أن يُلفّ نعشه بالعلم الأحمر، وهذا ما حدث، وهذا أمر نادر الحدث، أن يُلفّ بعلم العمّال وعلم الأحرار، هذا العلم الذي مشى طيلة حياته تحت رايته هو ورفاقه.

أبو نضال من القامات الكبيرة في يركا وفي المنطقة، لذلك رأينا من المناسب في مجلّة الغد الجديد هيئة تحرير وإدارة أن نخصّص هذه الكلمات احترامًا لتاريخه ولدوره ومواقفه ولمسيرته وسيرته التي لا تغيب عن ألسن الناس في يركا وفي كلّ المنطقة.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يتغمّده بواسع رحمته وإلى جنان الخلد يا أبا نضال.

صيّاح كنعان

الابن البارّ لبلده وشعبه وحزبه

محمد نفّاع

أذكر بعد طلعة «الخَشْبه» وقبل عشرات عديدة من السّنين، على إيدك الشمال، هناك، دار صيّاح كنعان على جنب الطّريق. أهل البلد يعرفون الدّار، البيت بسكّانه وليس بجدرانه، عقدت فيها اجتماعات كثيرة في جوٍّ من التّرحاب والتأهيل والكرم .. أبو نضال عَلَم نضاليّ عريق من شبابه حتّى احتضنه ثرى بلده، تراب يركا العامرة بأهلها وميزاتها النّخوة والكرم والشّجاعة وسرعة الخاطر. فكم بالحال إذا كان الحديث عن صيّاح كنعان، المدجّج بالوعي الطّبقي والاجتماعي والسّياسيّ والفكر الأمميّ. في تلك الأيّام البعيدة تعرّفت عليه، وعلى حسن وحسن وحسن ونجيب وأسعد ...

على الجِذر أبو حيدر، الشِّلْش العريق العميق، وعلى الشلوش تنبت السَّجريّة، ويأتي جيل آخر من الشّباب بعنفوانه وقوّته على نفس المبدأ والطّريق، شبّان عصاميّون، أطبّاء، محامون، وأذكر كلمات جمال موسى سكرتير منطقة عكا لحزبنا الشّيوعيّ: يجب النّظر إلى يركا «كمنطقة تطوير أ» لما لها من مكانة خاصّة، وهكذا كان، وأذكر السّهرة الاحتفاليّة البهيجة بمناسبة سفر طيّب الذّكر الرّفيق صالح ثابت للدّراسة في الاتّحاد السّوفياتيّ، أوّل طالب من يركا في أول قطر اشتراكيّ، راح صالح في حادث طرق مأساويّ، وراح الاتحاد السوفياتيّ لأسباب أخرى عديدة،

التّرهّل والبيروقراطيّة والنّتائج المريرة للحرب الوطنيّة العظمى وسحق النّازيّة بعد أن عاثت دمارًا وقتلاً في وطن ثورة أكتوبر، أضف إلى ذلك فرض سباق التّسلّح وحرب النّجوم، واضطرار الاتحاد السّوفياتيّ وبأريحيّة لمساعدات سخيّة للعديد من شعوب العالم، ولنذكر السّدّ العاليّ ومصانع حلوان في مصر، ومشروع «بهيلاي» في الهند، وحقل الرّميلة في العراق، بالإضافة إلى الفيتنام وكوبا ... وكانت القشّة التي كسرت ظهر الجمل، خيانة عدد من قادة الحزب الشّيوعيّ السّوفياتيّ غورباتشوف، شفرنادزه، يلتسين، ياكوفليف ..

لا حاجة لتعداد اللّقاءات مع صيّاح كنعان، تشعر دائمًا أنّك قريب منه، بسنعته وصوته ونقاشه وحديثه ودفاعه الاندفاعيّ عن العمّال في مصنع يركا، عمّال من القرى المجاورة وقرى البطّوف، كان عاملا في نفس المصنع. وما لم أسمع عنه أكثر بكثير ممّا سمعت، مساعدات رفاقيّة سخيّة للعديد من النّاس، سمعنا منهم وليس منه، وخاصّة بُعيد وبعد وفاته.

في بيت الأجر، بيت التّعزية، وفود عديدة تتقاطر، تدخل وتغادر، من الكهول والشّباب مع تقييدات المرض التّاجيّ، الكورونا، وأيّ تاج لم ولا يورث المرض، هكذا في الماضي، وهكذا في الحاضر.

أبو نضال نهر غزير العطاء، والنّهر ليس فقط بمنبعه بل أيضًا بمصبّه. هو كغيره في تلك الأيّام، تعرّض إلى مصاعب قاسية، وضغوط ومعوّقات ومحاولات ردعِه عن خطّه، تغلّب عليها باقتحام صلب صوانيّ صَلد، لأنّ حجر الحثّان الرّخو لا يقدح نارًا بالزّند والزّناد. لم يعرف التّلوّن مع علمه أنّ التّلوّن إذا دبّ في ورق الشّجر فهي علامة السّقوط، عاش بشهامة وشموخ، وغادر مسرح الحياة بشموخ وشهامة كالنّسر والباز.

وفي الزّرازيرِ جُبنٌ وهي طائرة وفي البّزاةِ شموخٌ وهي تحتضرُ

سبحَ ضدّ التّيّار، فالسّمك الذي يسبح مع التّيّار قد يكون حيّا وقد يكون ميّتًا، أمّا الذي يسبح ضدّ التّيّار فلا يمكن إلاّ أن يكون حيًّا. وتظلّ أسرته الكريمة على نفس النّهج، وتظلّ ذكراه حيّة في الضّمائر الحيّة. وهذه المجلّة الوطنيّة الملتزمة لها الدذور والمساهمة في حفظ الذّاكرة ونشر القيم الإنسانيّة السّاميّة.

وداعًا أبا نضال

أباد خطّار

لقد أبكرت الرّحيل يا رجل الرّجال، وأسرجت المنون دون سؤال، رحلت بصمت دون وداع ومشيت دون استئذان، تاركًا في عيوننا دموعًا لا تجفّ وفي قلوبنا لوعة لا تمحوها السّنون. رحل عنّا جسدك، أمّا روحك الطّاهرة ما زالت تحلّق فوق رؤوسنا تواسينا، وما زالت تعيش في قلوبنا وذاكرتنا ووجداننا للأبد. وداعًا يا رفيق الدّرب الطّويل لوالدي الرّفيق أبو حيدر رحمه الله. وداعًا رفيقنا المناضل العنيد، الوطني، الشّريف، الصّديق، المخلص، الجار ونعم الجار العفيف، الزّوج المخلص والأب الدّاعم والجدّ الحنون، السّند لأولادك وبناتك وأحفادك وأنسبائك لأهلك وأقربائك.

العامل والمدافع الأول عن حقوق العمّال، ورجل الأعمال النّاجح الأمين، رجل الصّلح والإصلاح وحلّ النّزاعات والخلافات والتّسويات. رحم الله أبا نضال. كم قاد لجان إصلاح وحقن دماء عندما نزع فتيل التّوتّر والأزمات بحكمته، وكم ستر من زلاّت وكم نجح في وساطات وكم جلب عفوًا لمسيء، وكم جلب عزًّا لمسامح. كان مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشّرّ، محضر خير لا يغتاب. كان شجاعًا، نطق بالحقّ دون خوف أو وجل، وبدون تأتأة. لا يداهن ولا ينافق، كان صاحب ضمير حيّ يبحث عن الحقّ ويوصل صاحبه إليه.

دافع عن المظلوم والضّعيف والفقير، يشهد له رجال الدّين والمجالس والدّواوين ورجال السّياسة. أحبّ الجميع وأحبّه الجميع، أحبّ الخير لكلّ النّاس، كان مرجعيّة وموضع ثقة لكلّ الجهات والأطراف السياسيّة المتنازعة، كان نقيّ القلب أبيض الكفّ، تبرّع بسخاء للمحتاجين وللعائلات الفقيرة، ودعم طلاّب الجامعات والجمعيّات الخيريّة، وكان هذا بالخفاء دون معرفة أقرب المقرّبين، وما تخلّف يومًا عن مستغيث ولا تراخى عن نجدة ملهوف، نسأل الله أن تكون أعمالك في ميزان حسناتك.

الموت حقّ على جميع النّاس، ولكن حين يموت الإنسان ويترك آثارًا حسنة، فهذه نعمة من الله عزّ وجلّ، فالمرحوم أبو نضال رحل بعد مسيرة حافلة بالعطاء الإنسانيّ والاخلاقيّ، أكسبت سمعة طيّبة بين رفاقه وأصدقائه وأهل بلده ومجتمعه وأبناء شعبه. عزاؤنا أنّك تركت أطّباء ومحامين ومثقّفين وتلاميذ ورفاق

درب يسيرون على دربك ومن مدرستك الوطنيّة المتميّزة بالصّدق والأمانة والاستقامة والمبادئ والقيم والأخلاق والموضوعيّة.

رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنّاته، وألهم ذويه الصّبر والسّلوان ورحم امواتنا جميعًا.

يركا

وصيته الاخيرة

د. جمال خليل شريف

أن لفوني يا رفاقي بالعلم الاحمر

الرفيق صياح كنعان ابن قرية يركا البار وعاشقها وعاشق الوطن

ابو نضال في ذمة الخلود

أَيا عَينُ جودي وَلا تَسأَمي

وَحُقَّ البُكاءُ عَلى السَيِّدِ

عَلى ذي الفَواضِلِ وَالمَكرُماتِ

وَمَحضِ الضَريبَةِ وَالمَحتِدِ

عَلى خِندِفِ القَومِ عِندَ البَلاءِ

أَمسى يُغَيَّبُ في مُلحَدِ

فَكَيفَ الإِقامَةُ بَعدَ الحَبيـ ـبِ بَينَ المَحافِلِ وَالمَشهَدِ

رحل فارس يركا وترجل بطل شجاع من أبطالها الأشاوس الصناديد

ترجّل حارس الحزب الشيوعي والجبهة ولجنة المبادرة الدرزية وأحد قادتها ومؤسّسيها الرفيق الغالي الهمام

عزيز العزة علينا

وكبير انت.

وانت انت الذي تمتّع بشديد التواضع وبتاريخ نضاليّ حافل وتاريخ اجتماعي زاخ, حملت مشاعل النور مثابرا أصيلا على طريق الحرية ملوّحًا قانعا بعلم التقدم والخير والسلام من اجل شعبك ووطنك دفاعا عن الارض والمسكن ونيل الحقوق.

من لا يعرفك وأنت النقي السّخي ذو الأيادي البيضاء، وأنت حجر الزاوية والرّكن الرّكين عميقا في الارض ضاربا الجذور.

أنت المرجع يوم عزّ المرجع والعارف بخبايا الأمور ومحطّ الثّقة في فضّ ما يستعصي ومبدع

الحلول.

تبكيك روحي واللوعة تحرق قلبي برحيلك أيّها الحبيب الحبيب والصّديق الصّدوق.

فاجعتنا كبيرة، حملها صعب ثقيل ونسيانها مستحيل.

نحن ومحبوك وعارفو فضلك نتوخّى الامل ان تكسونا السكينة بثوبها بعدما اضطربت النفوس وغزاها الحزن والالم، عزاؤنا بما نسترجعه من شريط ذكريات مضت قريبة بعيدة ربطتنا بشخصك الكريم وطلعتك البهية وابتسامتك الزاهية، ذكريات لا يعلوها غبار السنون .

أوجعتنا وأبكيتنا أيها الأخ الكبير وليس لي بحضورك في البكاء نصيب برحيلك على حين غرة، دونما استئذان وأنت ربّ اللباقة واللطافة وانت ململم الجراح ومداويها وشافيها، رحلت ورحل معك رمز الاخلاص والوفاء والتضحية وكل ما هو جميل .

نحن اذ نعزّي أنفسنا وأهلنا الأكارم في الجارة الغالية يركا القرية الوفية المعطاءة التي احتضنت الكثيرين من ابناء شعبنا من قراها المجاورة في نكبتنا عام 1948 ومنعت التهجير في موقف وطنيّ مسجّل في صفحات التاريخ الى الأبد.

عزاؤنا لعائلة كنعان الكريمة والقوى الوطنية ولجنة المبادرة الدرزية برحيل هذا القائد العلم، المقدام الذي عرفه الجميع وكل الجنود المجهولين في المسيرة المستمرة حتى النصر.

ستذكرك كفرياسيف وأهلها وساحة الاول من ايار في مقدمة وفد كبير من يركا الحبيبة بالأهازيج الحماسية والكلمات الخالدة، ستذكرك مشاريع العمل التطوعي في كفرياسيف إسهاماتك السخية .

الخسارة فادحة والمصاب جلل لقوى التقدم والديمقراطية، قوى الخير والسّلام والشّرف والانتصار للحق من اجل زهق كل ما هو باطل والدفاع عن المظلومين .

سيفتقدك كل من عرفك بخصالك وبراءة وطيب قلبك وبياضه وعفويتك وخفّة ظلك .

ماذا عساي أن أقول بعدما ربط الموقف اللسان وعجزت الكلمات عن التعبير وجفّ القلم وتلعثم القول .

لروحك السّكينة والسّلام

ولنا في إرثك النّضاليّ الصّبر وحسن العزاء .

خالدا في ضمير الوطن مفترشا ثراه الذي عشقت، الطيب الحنون

خالدا في وجدان الشعب والحزب

وإنّا على دربك ووصاياك ثابتون كالصخر اوفياء .

رفيقك المحب ابدا ـ كفرياسيف

مآثر سيرة فقيدنا القائد الرفيق
الشيخ المرحوم وطيب الذكر
صياح كنعان
وحاجة مسارنا

بقلم : غالب سيف

اخي القارئ الكريم,

ادعوك ان لا تبخل أو تتكاسل وأن تُكرّسْ من وقتك, ولو ربع ساعة, لكي تلامس سيرة رفيقنا الراحل المرحوم الشيخ أبو نضال صياح سعيد كنعان, الذي وافته المنية في 4.11.2020 , عاش 77 عاما قضاها كلها في الكد والشغل, في الظاهر كان وكأنه انسان عادي جدا, ولكنه وفي الحقيقة والواقع ومن سيرته الغنية جداً هو المُميز وغير العادي, رغم ايادیه المشققة كباقي أغلب الكادحين, سيرته هذه تؤهله لأن يكون ليس فقط غير عادي وإنما وبالفعل اسطورة, مَثَل ونبراس, وبوصلة للنهوض من الغفوة لمقاومة ومقارعة الظلم والظالمين, وجعلها نموذج وآلية لكل المظلومين كشعبنا مثلا أو لكل كادح ومظلوم في كل مكانٍ وزمان لمقارعة الظلم في كل اشكاله وكل ظالم أيٍ كان. لذلك أخي, أقّدِم و "اقرأ .." هذه السطور, لأنها سيرة هامة لأفعال هامة لرجل هام عمل على السُكيت وبتواضع, فيها دروس وحكمة وأفعال نحن بحاجة لها, اغلبها حدثت على نار هادئة وبتواضع معروف ومميز لدى فقيدنا, وحقيقة مجردة من الذاتيات والأنانية والطمع المتفشين بشكل قاتل في سلوك الأفراد والمجموعات, مما يجعل شخصية فقيدنا الفذّة لكونه رفيق ملتزم وشيخ ورع امران وفرا له هيبة الضرغام والبطل والاسطورة

هذه, والتي تتحلى بأرقى الصفات والخصال الحميدة والأفعال المُؤثرة, كان عصاميّ الجوهر, عروبيّ الانتماء, وطنيّ النهج, أمميّ النظرة والتعامل وطبقيّ التصرف, نعم انسان وكأنه عادي كثثثييير, ومُميز بشكل غير عادي وغير مألوف كثثثثير, .. نعم اسطورة.

رغم حزن الفراق وألمه وشرعيته, ولأننا الى هذا المصير الحتميّ, تقضي الضرورة والحاجة والواجب تجاه راحلنا, وتجاه أنفسنا أكثر, أن نستفيد من مآثر سيرة فقيدنا النّيرة, لذلك تعالوا نمر على بعض محطاتها المُضيئة والمميزة, لأن الآتي علينا حتماً, من مهمات وتحديات كبيرة وجسيمة ووجودية ومعقدة, لا يبقي لنا مفر إلا مواجهتها ومقاومتها, من هذه السيرة بإمكاننا أن نستنبط وصفة أو وصفات وروشيتات لأي سلوك أو مسار نحتاج, وأن نستعين بها لتقوية هذه المواجهة الحتمية, وأعيد وأؤكد أنه لا مجال للهروب أو المفر منها, وراحلنا أكيد كان حَبّ عليه أن نستعير كل ما خلّفهُ للاستفادة منه, ولنقوي نجاعة ومردود هذه المقاومة لتدفع عنا الأذى ولندافع عن حقوقنا وعن وجودنا على أرضنا وفي وطنا الذي لا وطن لنا سواه, لذلك أهمية توثيق وقراءة التفاصيل .

تعرفت على أبو نضال في سنوات السبعين من القرن الماضي, بحكم أنه كان يعمل حداد في مصنع القضماني للصلب , وشغل منصب رئيس لجنة العمال فيه, التي مثلت مئات العمال في حينه, وبحكم اني كنت سكرتير التنظيم المهني في مجلس عمال "مركز الجليل", المشرف على هذا المجمع الصناعي والتجاري. أول ما تعارفنا بحّرنا ببعض تبحيرة النقيضين, وبالأساس بحكم التناقض بين موقعينا, هو شيوعي وأنا كنت في حزب العمل سيئ الصيت, والظاهر أن نهجي وسلوكي غير المألوفان لدى من كانوا في هذا الحزب, قصرا غمر هذه المجافاة, لأنه لم تطل الفترة حتى تصادقنا. ولتوضيح الفكرة من ذِكر هذه المحطة وتفاصيل وأهمية ما جرى فيها, في نفس الفترة تعرفت أيضا على معلمي ورفيقي (اليوم), شاعر الفقراء الشيخ نايف سليم, الذي كان عضوا في حينه في مجلس عمال "مركز الجليل" كممثل للشيوعيين فيه, واي مصادفة غريبة حصلت, معي ومع صياح ونايف, الاثنان , كُلٍ على حدة وأكيد بدون تنسيق, قالا لي جملة, استنكرتها واستغربتها واستخفيت بها في حينه..! : " مصيرك يا ولد أن تكون شيوعي», اقسم أن هذا الذي كان وبهذه البساطة وبهذا العمق الاستنباطي .. . تمعن أخي القارئ في لب وجوهر هذا الحدث والحديث, هذا العامل الكادح الراكض وراء لقمة العيش وما عنده وقت يحك في رأسه, وكل وقته وهمه وشغله أن يعالج الصلب والحديد بيديه المشققات واللي صاروا أقسى من الصخر بفعل ذلك, والواقع تحت استغلال صاحب الشغل وتمييز الدولة, كما كل كادح وعامل وشغيل, عنده القدرة والمعرفة أن يقرأ مستقبلي بكل بساطة وعمق وثقة, ومن خلال اكام لقاء معه, نجحا هاذان العملاقان أن يستنبطان بدقة الذي حصل معي بالفعل وبعد أعوام في ال 1983 , حين ضمني رفيقي نايف سليم, (ابن ال 86 عاما اليوم, أطال لنا الله بعمره), الى صفوف حزبنا الشيوعي. هذه المحطة فيها أن تشير لنا ببساطة ووضوح الى عظمة هذا البسيط العادي , ولكن فيها أن تقول لنا ككادحين وناس عاديين ان لا نستخف لا بقدراتنا ولا بإمكانية تطويرها لترقى الى هذا المستوى من التحليل والتقدير, هذا يعزز الثقة بالنفس ويستدعينا ان نكون واثقي الخطى, وكما كان راحلنا, , هذا ليس امر هامشي ابدا وإنما مبدأ وحاجة حياتية واجتماعية وتنظيمية مهمين وحيويين.

معروف أن لقرية يركا, مسقط رأس فقيدنا الغالي, مكانة الرأس والعقل من الجسم, وتتربع على هذا الموقع بين القرى المعروفية الفلسطينية عامة, وفي وسطنا العربي في جليلنا الأعلى خاصة , ويعزز هذه الخصوصية كونها تحتل ثاني اقتصاد في الحجم في وسطنا العربي قاطبةً, رغم أن عدد سكانها لا يتجاوز ال 17 ألف نسمة (للمقارنة عدد سكان الناصرة ما يقارب ال 100 الف وتحتل المكان الأول قبل يركا), وراحلنا كان هو العنوان الأول لثقة اهل بلده وبلا منازع, والمصلح الاجتماعي المُميز والأكثر مطلوبا فيها (على سبيل المثال بفضل هذه الثقة لما نجحنا

نحن في لجنة المبادرة في تثبت بيت المبادرة العربية الدرزية في يركا). نفس موقع الرأس من الجسم يتفرد به حزبنا الشيوعي وجبهتنا الديمقراطية للسلام والمساواة لدى أقليتنا الفلسطينية وبحكم الثقة والتجربة, وبحكم موقعهما القيادي والريادي لدى جماهيرنا, بمعنى أنه كان لرفيقنا ذلك الحس الفطري والقدرة على اختيار الموقف والطريق الأصح, والأهم في هذا السياق أنه كان له القدرة على تطبيق فكره التقدمي والوطني محليا, مسترشدا بالقول الفلسفي القائل : « أن الثوري الحقيقي هو من يفكر عالمياً ويعمل محلياً», وفي السياق والمعنى والقيمة, هذه هي مكانة لجنة المبادرة العربية الدرزية النضالية والوطنية التقدمية في الوسط الدرزي الفلسطيني, والتي كان المرحوم أحد مؤسسيها وهي التي قادت منفردة, في حينه, وتقود اليوم العمل الوطني الدرزي الفلسطيني. لذلك رحيل ابو نضال يُشكّل في الأساس خسارة فادحة لنا جميعا, وتطال كل أبناء شعبنا الفلسطيني, ورحيله جاء لنا جميعا بفراغ نحن بأمس الحاجة لسده, والتجربة تستدعينا جميعا, هيئات وجمهور للقيام بذلك, وخاصة الجمهور. يا أهلنا سيروا على خُطى هذا "الانسان العادي" الذي استنبط الحالي والآتي, وهل ممكن أن لا نعتبر صفقة القرن الملعونة تحدياً, أو أدوات تطبيقها الأرعن منها , ان كان قانون القومية أو قانون كامينتس الهادفان الى تهجيرنا من وطنا وبلادنا, (طبعاً فشروا أن يقدروا على ذلك) ايضا تحدي, هل من الممكن عدم مواجهتهم بكل الوسائل, ضف لذلك حالة العنف المستشري والخطيرة جدا في مدننا وقرانا, وفي الحقيقة هي مبنية ومبرمجة وتهدف الى تنكيد عيشنا وضرب الأمن والأمان والاستقرار عندنا جميعاً, لألا تكون لنا حياة عادية, هذه المستجدات العنصرية والتي تعتبر تصعيد عنصري صهيوني متناغم مع مجريات محلية واقليمية, تضاف للعنصرية والتمييز الذين كانوا من نصيبنا, كلنا وبدون استثناء, بما فيه الذين جُنِدوا اجبارياً والذين تجندوا طوعياً وغيرهم , ومنذ عام النكبة في ال 1948 حتى يومنا هذا, المتضررين منها خاصة وأولا هؤلاء الذين استكانوا وسلموا رقابهم ومصيرهم للصهيونية, وتوهموا, كما توهم الأكبر منهم أمثال السادات في حينه, والمحمدين اليوم : محمد بن سلمان ومحمد بن زايد, البرهان السوداني والعاهل المغربي وغيرهم, ركوا ظهرهم للرأسمالية الخنازيرية وللصهيونية, وسيحصدون ما حصده من كان قبلهم في هذه الخانة والخيانة, وسيصيبهم كالذي حضن الأفعى في سرواله .. . سيرة فقيدنا الذي كان من أنصار أول لجنة دفاع عن الأرض في وسطنا العربي, والتي تأسست في يركا في سنوات الستين من القرن الماضي, والتي كان تأسيسها بمثابة سيسموغراف يركاوي هذه المرة (جهاز رصد الذبذبات والارتجاجات الجوفية والهزات الأرضية) أشار لارتجاجات الغضب العربية الجوفية القوية جدا والعارمة التي سبقت مجريات يوم الأرض الخالد عام 1976 , وفقيدنا كان المحرك الرئيسي بالإضافة لباقي رفاقنا وعلى رأسهم طيب الذكر المرحوم

ابو حيدر, لتأطير ودفع هذا التطور المُميزوالمبارك نحو الفعل الذي يخدم الناس. من هذا ومن هنا علينا أن ننتبه للارتجاجات الجوفية العميقة وللغضب المتراكم والفاعل بفعل ونتيجة لسن قانون كامينتس والقومية وغيرهما, ما بدها تعب للاستفادة من هذه المحطة وهذا الدرس.

في سياق ذِكِر وتمحيص أفعال فقيدنا البطولية البارزة, ضروري أن نذكِّر دوره في التصدي لمشروع الفتنة الذي تأسس في ملعب في كفرياسيف حين قُتِل شاب من جولس على يدي آخر من كفرياسيف وأثناء مباراة كروية, وكيف استثمر هذا الحدث الأليم لتطوير فتنة طائفية قاتلة بين الأهل والجيران, حيث كان ابو نضال في طليعة هذا التصدي المُنظم والواعي مع باقي رفاقنا وأصدقائنا, كان له الدور الحاسم, دور القائد الميداني الذي يدير ويشرف على التصدي لأخطر وأكبر فتنة طائفية مُستغلة ومبنية ومدعومة سلطوياً في حينه, ان كان بالكلمة او الجسد وبكل الوسائل, وربما أحرج مرحلة من هذا التصدي الضروري والمسؤول والمُعقد والبطولي, كانت عندما بادر رفاقنا : محمد نفاع, سميح القاسم, نايف سليم, صياح كنعان, سلمان ناطور وجمال معدي لعق جلسة مع رئيس مجلس جولس في جولس, وبفعل تحريض دموي الظاهر قادته المخابرات وشخصيات سلطوية متنفذة, تم محاصرة هذا الوفد بفعل دعاية كاذبة ومفبركة مفادها أن فرقة من كفرياسيف تهاجم جولس ؟!! في السلاح ؟؟!!, أثناء محاصرتهم المسلحة التي وصلت لحالات مرعبة بالفعل وفقط بعد أن اعلن معزبهم أن الوفد في حمايته ومن سيتعرض له سيكون سبب في حرب محلية بحق وحقيقة, مما اضطر الشرطة أن تتدخل وتقوم بواجبها لتأمن حياتهم وخروجهم من هذا الحصار سالمين, لكان حدث ما لا يُحمد عقباه, وفقيدنا كان في الصف الأول لهذا الحدث الجلل, هذا بالإضافة للمساعدة العينية وعلى مدار 24 ساعة وفي كل فترة الاحتقان هذا لرفيقنا طيب الذكر المرحوم نمر مرقس, الذي كان العنوان لسخط وغضب ومؤامرات السلطة واعوانها. والذي كان بفضل سعيه الدؤوب وسعة فكره التقدمي والوطني ومواقفه الجريئة والحاسمة وتعاون الكثير من الجوالسة وعلى رأسهم رئيس المجلس في حينه, أعيدت اللُحمة ما بين هاذان البلدان الجاران الشقيقتان والعزيزان وقُمِعت الفتنة وبازت نقلة السلطة, أليست هذه الواقعة درس وعبرة لنا اليوم وبوصلة تنير لنا سُبل مواجهة الواقع المبرمج والفتن اليومية التي سطت على حياة اهلنا وقرانا, لزعزعة استقرارنا وأمنا ووضع علامة سؤال على مجرد وجودنا.

ان نسينا من غير المفيد أن ننسى دوره في التصدي لمحاولة هدم أحد البيوت في يركا , تصوروا ..,, حينها نجح هذا "الانسان العادي" الفذّ في تجنيد زملائه عمال مصنع القضماني, وليس كلهم من يركا, عندما كان رئيس لجنتهم, وبالتنسيق وسوياً مع اللجنة الشعبية في يركا (التي كان في طليعة قيادتها) وأهالي يركا, بتنسيقه وقيادته جرت عملية التصدي لأدوات وعناصر الهدم,

بدقة وعدة وعديد ونجاح باهر يذكرنا ببطولات حزب الله المتتالية والمتصاعدة, منعوا هدم هذا البيت بالقوة, نتمنى على أهلنا وقادة شعبنا أن يدققوا في هذه التجربة الفريدة ويتعلموا منها.

ارجو التدقيق ايضاً وبتمعن عميق بحادثة أخرى جرت عام 1974 , حين قررت السلطات تسكير الشارع الذي يربط يركا وكفرياسيف !!, لغرض أو لأغراض في نفس يعقوب, حينها قام أهلنا في يركا وبقيادة الرفيق صياح وباقي رفاق فرع يركا مع الأهل, أزالوا هذه الحواجز الصخرية وكل معوقات التواصل بين البلدين الجارين الشقيقين, فتحوا الشارع الذي ما زال مفتوحاً حتى اليوم, هذا هو مردود كل عمل نضالي وكل موقف وحدوي شريف وضارب للفتنة, محطة تُعلمّنا أن التصدي للمؤامرات بشكل جماعي وبجرأة هو الدواء لهذا الداء.

تحدثنا عن ثقة أهالي يركا, جميعهم, بالمرحوم ابو نضال, هذا رغم التنوع الحزبي والاجتماعي والاقتصادي وغيره الموجود هناك, ورغم كونه طرف واضح المعالم والمواقف ومعروف من هذا التنوع. ربما أساس هذه الثقة أن ابو نضال كان المحرك والراعي والمُشجع والمُخرج لمشروع دفع العشرات من طلاب يركا للذهاب للتعليم في الدول الاشتراكية, بدعم وتشجيع خاص من قائد منطقة عكا الحزبية رفيقنا طيب الذكر المرحوم جمال موسى, والذي أقنع قيادة الحزب أن تعتبر القرى العربية الدرزية بمثابة منطقة تطوير أ لدى الحزب في هذا المجال, والرفيق صياح حطّ كل وكده لإنجاح هذا المشروع الوطني ونجح بالكبير, الذي من ثماره الطيبة خيرة مثقفي وقيادات يركا اليوم, يقول المثل اعمل خير وزت في البحر فما بالك عندما يكون للأهل.

. أما آخر انجازات هذا العامل العالِم ثاقب الرؤيا وصاحب النظرة البعيدة, كان طلبه من ابنه نضال, أطال لنا الله بعمره وعمر باقي اسرة فقيدنا, قبل وفاته, بأن يلفوا تابوت جثمانه بالعلم الأحمر, لكي تكون رسالة شفافة وهادفة وواضحة المغزى وداعية, فيها عبقرية الكادح الفالح

الذي اراد أن يقول : عشت كادح وشغيل حتى آخر لحظة ..بربكم أليس اسطورة, وليثبت لنا بذلك هذا الشيخ والرفيق الفذّ أنه في حياته وبعد مماته هو قائد السيرة والمسيرة وهذه هي وصيته للكبير والصغير, الذي يقيدكم هو العلم الأحمر, نعم دموعي تنهمر عند ذكر هذا الفعل الجلل ولكل الاعتبارات, وكما قال لي ابنه البكر نضال : « عمي غالب والدي قال لي أنه كان عامل بسيط وعاش كذلك ويديه بقيت مشققة ونظيفة وسخية وتجود بالكرم طول عمره لذلك هذا هو طلبه الأخير ارجو أن تكتب عن هذا» , وأنا أقول ان طلبه هذا رسالة لكم يا أيها الأعزاء, لأني أعرف حق المعرفة أنه كانت لأبو نضال كل الفرص والامكانيات والقدرات لأن يكون من الأثرياء المُنعمين, ولكنه فضّل أن يكون الأغنى في تقديم التبرعات والدعم للوطن والوطنيين وللناس المحتاجين ولعمل الخير بكل انواعه, خاصة لأهلنا في المناطق المحتلة, وأنا شاهد على العصر.

ابكيك يا قائدي, يحق فيك يا أغلى من هو من أغلى الرفاق وشيخي قول شاعرنا ورفيقنا اليركاوي صالح قويقس :

يعز علينا قول عزاءٍ لهامة طافت فوق العنان

عزائنا بهذه السيرة التي فيها النور والنار, وهذه المآثر البطولية والمصوبة, التي فيها أن تنير الطريق للجميع, وبأسرتك وانجالك وزوجتك وكل أقاربك واحبائك الطيبين والغالين. وعد منا يا قائدنا وشيخنا اننا على العهد باقون وابداً على هذا الطريق, وأن علمنا الأحمر سيظل يرفرف وعاليا وأن الحق الذي حملت شعلته وشعبك سينتصرون.

لتبقى ذكراك خالدة وسيرتك نار ونور.

9.11.2020 (الكاتب رئيس لجنة المبادرة العربية الدرزية)

أخوك الحزين

محمد رمال

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسل الميامين

حبيبي العزيز الغالي، وصديقي الصادق الصدوق، والخل الوفي الأمين، والجار الفاضل والمخلص المخلص، الراحل عنا جسدًا وباقٍ فينا روحًا الشيخ أبو نضال صياح سعيد كنعان رحمك الله واسكنك جناته إنّهُ سميعٌ مجيب.

خانني اليراع عدّة مرات، وانتفضت الأوراق رافضةً تقبل كلمات رثائك، وتلعثمت الكلمات واوجم الفكر عن البوح بكلمات صادقة ومشاعر حارقة لفقدانك المفاجئ ورحيلك الصعب.

اخي، حبيبي وخلّي الوفي، يا رفيق الدّرب لعشرات السنين كيف يمكن ان ننساك وأنت أنتَ الانسان المتفاني في العطاء، والمناضل العنيد في الدفاع عن الحق والمظلومين، وقولك سيفٌ قاطع، وعملك نهجٌ لامع، ومواقفك نجمٌ ساطع وعطاؤك نبعٌ دافق، واخلاصك دائم صادق.

كيف لا وانت ابن الافاضل الاكارم وأخ الرجال الرجال رزق الحلال ديدنكم، ومساندة الحق شعاركم، ورفع اذى الظالم عن المظلوم علمكم.

أبا نضال أيها الاسم على المسمى، حضوركم مميز خيرٌ في خيرٍ في خير ومواقفك مشرفة، شجاعة، صادقه امينة، نصرٌ دائِم للفقراء وحربٌ ضدّ الطّغيان والاضطهاد مدافعٌ مستميت عن الأرض والعرض والدين، قلّما اقيمت حركة نضالية مثل الدفاع عن أراضي يركا اولاً ومن ثم ارض العرب الفلسطينية في الداخل الا وكنت في الصّف الأول، أحببت الصلاح والإصلاح والمحبة والتسامح، بادرت مع الرفاق لإقامة لجنة المبادرة العربية المعروفة لمعارضة التجنيد الاجباري البغيض، كما أنّك شاركت في اغلب المهرجانات الشعبية لمصلحة الأقلية العربية في الداخل ورفعت شعار حقوق الشعب الفلسطيني المظلوم، وأحببت السلام العادل وكان شعارك الأول.

وخدمت بلدتك بإخلاص وتفانٍ عضوًا في المجلس المحلي، ولجان شعبيّة متعددة، وبذلت من مالك لدعم العلم والمتعلمين. وتجندت بكلّ قواك لإرسال أبناء بلدتك للعلم في الدول الشيوعية آنذاك من ضمن منح وفّرها الحزب الشيوعي وكانت الكوكبة الأولى البعثة من الشباب اليركاوي لدراسة الطب فكانت النتائج المشرفة: د. عبدلله أبو معروف عضو الكنيسيت السابق ود. رجا خطيب، د. عارف سلامة، د. عقل قويقس، د. منير ملا، والمرحوم الدكتور علي ملا، والدكتور نزار جمول، والمحامي ذوقان عطالله، والمرحوم المحامي صالح ثابت، والأستاذ نبيل عطار، وكانت النتائج واضحة بحيث توالت. كما عملت على تشجيع الشباب للالتحاق بجامعات البلاد لتصبح بذرتك يا أبا نضال ثورة علمية يفتخر بها.

أمّا عن لجان الصُلح التي شاركتَ فيها فحدّث ولا حرج كما هو الحال مشاركتك الناس في الجليل خاصة والوسط العربي عامة في الافراح والاتراح لتصبح جزءًا اساسيًا من تلك المساهمات.

اخي الحبيب لا شكَ ان بيتك الخاص، الزوجة الفاضلة والبنات المصونات والشباب الطيب نالَ منكَ كل العطف والحنان والعطاء نسأله تعالى ان يعينهم ويعيننا صبرِ الفراق.

سامحني يا حبيبي وأخي العزيز فأنا أعجز ان أفيكَ حقكَ لأنك انت نادرٌ في هذه الأيام ونحن بحاجة لك ولأمثالكَ نسألهُ تعالى ان تسطر اعمالك وتؤرخ بماءٍ من ذهب. سنذكرك ما دُمنا احياء.

"عليكَ سلام الله كلما هبّت الصبا وكلما رددت السن رددت السن الناس ذكرى»

في رحيل رجل المواقف وأيقونة يركا والجليل

صياح سعيد كنعان

(ابو نضال)

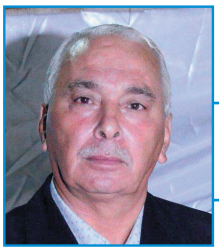

مليح نصرة الكوكاني

ترجل المناضل الصلب، والشيوعي الأصيل، الفارس صياح سعيد كنعان(أبو نضال)،عن صهوة الكفاح والنضال. هكذا عرفناه مكافحًا صلبًا في سبيل إعلاء شأن الحق والحرية، دفاعًا عن المظلومين والمسحوقين والغلابى من أبناء شعبنا الذين تشبثوا في أرضهم ووطنهم. هامته تطاول عنان السماء مرفوعة في وجه الظالم، بعد عشق كفاحي طويل امتد لأكثر من نصف قرن. عرفناه مناضلًا عنيدًا مجربًا لا تلين له قناة، في صفوف الحزب الشيوعي والجبهة ولجنه المبادرة العربية الدرزية في قريته يركا، بلد المواجهة، وقلعه الصمود والوفاء، وبلد الكرامة والضيافة في أسمى وأوسع معانيها.

غادرنا الرفيق صياح كنعان (ابو نضال) في الرابع من شهر تشرين الثاني 2020، دون إنذار أو إشارة، ودون وداع يذكر، وبلا لقاء وعناق، ولا حتى إلقاء النظرة الأخيرة، وقول كلمة حق في مسيرته الصعبة، وهو في الحياة. فليس من عاداتنا نحن الشيوعيين والوطنيين الصادقين، أن نودع رجالاتنا الأوفياء والمناضلين الكبار في صمت وهدوء. فهل فعلًا رحل الذين نحبهم وتشرفنا بهم فعلًا وعملًا وقولاً، ماضيًا وحاضرًا؟! هل غاب الرفيق الملتزم صياح كنعان، رجل الإصلاح والمبادئ والمواقف الصلبة وارتقى الى العلياء، في زمن عزّ الرجال بمواقفهم وعنادهم وإصرارهم على نيل الحق والحقوق والحرية كاملة، دون أي تنازلات للعدو والسلطة الظالمة.

نشأ وترعرع الرفيق المناضل أبو نضال صياح كنعان، في قريته يركا، التي أحبها وأحبته، في بيت وأسرة كثيرة الأبناء والأفراد والانتماءات، هي عائلة كنعان الاصيلة الكادحة، التي دمجت في حياتها ومعيشتها، بين فلاحة الأرض والمحافظة عليها، وبين العمل والانتماء لسوق العمل بالأجرة. وكان أبو نضال صياح كنعان، يعتمد بالأساس على العمل بالأجرة اليومية. وقد عمل في بداية حياته بمخايط شركه «تكستيل آتا»، وانتقل فيما بعد إلى مصانع قضماني للحديد الصلب، وأنتخب في حينه رئيسًا للجنه العمال في المصنع المذكور، مما أهله للتعرف أكثر على حياة ومعيشة العاملين والكادحين عن قرب، واكتساب الحس الطبقي والعمالي، وإدراك أهمية تنظيم العمال في المصنع، والكفاح من أجل تحسين ظروف العمل والمعيشة. فقد أدرك أبو نضال معنى توحيد ولم شمل العمال وتنظيمهم من أجل المحافظة على حقوقهم ومكتسباتهم الاجتماعية والنقابية. ومن هنا تعمق وتبلور وعيه الطبقي، وزادت معرفته السياسية والتنويرية والثقافية عندما انتسب في بداية السبعينات من القرن المنصرم، لصفوف الحزب في يركا بتوجيه وتأثير الرفاق من كفر ياسيف وأبوسنان ومنطقه عكا، وأصدقاء الراحل في يركا الابية، أمثال الشيخين الجليلين حسين خطار(ابو حيدر) طيب الله ثراه، وأسعد قويقس، أمد اللــه في عمره، وكانا قد سبقاه بالعضوية والانتساب للحزب.

في هذه الفترة بدأ فرع الحزب في يركا ينمو ويكبر عددًا وتأثيرًا بين الناس والأهل، وانتسب إليه عدد من الشباب المتنورين، كان على رأسهم خالد الذكر صياح كنعان، الذي أصبح فيما بعد سكرتيرًا للفرع بين السنوات 1976 ولغاية 1986، وكان أحد المؤسسين الأفذاذ الذين تصدوا لرجالات المبام والليكود والمفدال والمعراخ ولكل حظيرة الأحزاب الصهيونية. وغدا النشاط السياسي الثوري جزءً من المناخ السياسي اليركاوي، الذي يحسب له ألف حساب. وكان فرع الحزب بقيادة أبو نضال صياح كنعان ورفاقه، شعلة عمل وسيد الموقف في المشهد اليركاوي المتبلور في المواجهة والتصدي لسياسة «الدرزنه» والانفصال السلطوية، وطرح البديل الحقيقي أن اهالي يركا هم جزء من الجماهير العربية الفلسطينية الباقية في وطنها، وأن مقاومة سياسة فرق تسد الصهيونية واجب وطني من الدرجة الأولى، وأن وحدة الجماهير العربية هي الكفيلة بإفشال مخططات التشرذم والتمييز ونهب الأرض وانعدام المساواة اليومية والقومية. وكان من الأهمية التأثير بين العمال والناس عامة في يركا الأبية ، فانتخب رفيقنا الغالي ابو نضال صياح كنعان رئيسًا للجنة العمال في مصنع الحديد والصلب، التي أقيمت في يركا في سبعينات القرن الهارب. وما كان من أبي نضال وآخرين بدعوة العاملين في المصنع للمشاركة في المسيرة الجماهيرية الغاضبة، التي دعت لها اللجنة الشعبية احتجاجًا على اغتيال القائد والزعيم الوطني اللبناني الكبير كمال جنبلاط، وهدم بيت المواطن اليركاوي يوسف بركات. في اوائل الثمانينات

أنتخب الراحل صياح كنعان لعضوية المجلس المحلي، ممثلًا عن الحزب والجبهة في يركا، وكان قد سبقه في هذه المهمة الرفيق الشيخ أسعد قويقس، وقد ابليا بلاءً حسنًا في الدفاع عن الهم اليومي والقومي لجماهير و أهالي يركا، وفي سبيل ازدهارها وتقدمها، وخاصة قضايا الأرض والتطوير والبناء.

فضلًا عن ذلك، أدرك الرفيق صياح كنعان بتوليه منصب سكرتير فرع الحزب الشيوعي، أهمية العلم والتعليم الجامعي وحاجة يركا الضرورية لخلق شريحة واعية ملتزمة من المتعلمين والمثقفين، من أطباء ومحامين ومهندسين وغير ذلك، بعد أن أقفلت السلطة أبواب الجامعات في وجه الشباب العرب، وتعطش الشباب اليركاوي للتعليم، فما كان من الرفيق صياح وآخرين في يركا الشامخة، ارسال أكثر من 23 طالبًا للتعليم الجامعي في الدول الاشتراكية والاوروبية، نهلوا العلم من أوسع أبوابه بمختلف المواضيع والتخصّصات، وأكثر من 15 طالبا منهم في الدول الاشتراكية سابقًا، حصلوا عليها كمنح من الحزب الشيوعي. وكم كانت فرحة المرحوم صياح كنعان، فرحة لا توصف في عمقها وأبعادها المستقبلية، على المجتمع اليركاوي، لما شكلته كأكبر تحدٍ لسياسة الحرمان والتجهيل السلطوية. وكانت يركا الفاتحة الكبرى تقف في خندق العلم والمقاومة وتحطيم سياسة التيئيس والتجهيل، التي وضع أسسها اوري لوبراني وغيره من قادة المؤسسة الحاكمة، لجعل العرب «حطابين وسقاة ماء». لذلك وضع أبو نضال في سلم أولوياته وبرامجه، أن عارض معارضة شديدة التجنيد، وفضح سياسة الخدمة الإجبارية في جيش الاحتلال، وكان أحد الرموز التي أسست لجنة المبادرة الدرزية على الصعيد اليركاوي والقطري، التي أخذت على عاتقها تولي مهمة التعبئة والتوعية والشرح وخوض غمار النضال ورفض الخدمة الإجبارية للشباب العرب الدروز، ولم يخدم أحد من أبنائه في صفوف جيش الاحتلال، وأسّس أسرة ثورية وطنية تؤمن بالسلام العادل والمساواة وأخوّة الشعوب، وبحقّ الشّعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال ونيل حقوقه كاملة . ما يميّز سيرة ومسيرة رفيقنا الراحل صياح كنعان الطويلة الحافلة بالإنجازات والمواقف المبدئية المشرفة الثابتة، ان له بصمات مرصعة بالحب والاحترام ليس على المجتمع اليركاوي فحسب، وإنما على محيطه العربي في الجليل ومنطقة عكا وغيرها. فهو بحق يعرف كرجل شيوعي صاحب المواقف الشجاعة والنضال الحازم، وبصماته مطبوعة على جبين الأسرة اليركاوية الواحدة. ويعتبر من الشخصيات المحبوبة المؤثرة في يركا، ومن رجالاتها الأكثر احترامًا وتأثيرًا على مجمل حياتها السياسية والاجتماعية. فقد كان الراحل ابو نضال يدافع بكل قوة عن قوة الحق مهما كلفه الأمر، لم يخشَ بطش السلطة وخفافيشها يومًا من الأيام، ولم يحسب أي حسابات لقوى السلطة، التي حاولت وتحاول هذه الأيام أن تسطو في حلكة الليل، النيل من شرف المواقف الكفاحية، ومن تراثه الكفاحي والحياتي، رغم

أنف قوى السلطة وأذرعها، وتكالبها لتفتيت وحدة الجماهير العربية الدرزية في معركه الحقوق والمساواة، رغم الاغراءات المدلوقة، وتكالب أحزاب الحكم.

لقد كان أبو نضال على الدوام يهتف ويقول: أن يركا الأبية مع شعبها الفلسطيني، مع الحزب الجبهة والمبادرة، ضد سياسة الاضطهاد والعنصرية والاحتلال والحرب. وقد تصدى بكل ما أوتي من قوة وإصرار لكافة أشكال الظلم ولمشاريع التهويد ومصادرة الاراضي، التي بلغت أوجها بين الأعوام 75-76 بين يركا ودير الاسد، من الجهة الشرقية لقرية يركا. واستطاع مع رفاقه الشباب والخيرين من أهالي القرية، وبدعم من الحزب والجبهة أن يقيم حراكًا شعبيًا للتصدي للمؤامرة على الأرض، ووقف وقفة الأبطال للتصدي بكلّ عنفوان وشموخ لمحاولات السلطة وأعوانها، إغلاق الشوارع بين كفر ياسيف ويركا سنه 1981 على أثر الأحداث المؤلمة التي أججتها السلطة بين البلدين المتجاورين، بهدف ضرب كفاح ووحدة البلدين وبثّ الرعب والتفرقة بين أبناء الشعب الواحد، تمهيدًا لنهب ما تبقى من أراضٍ للبلدين، فكانت يركا على الدوام تقف بالمرصاد لإفشال ما يخطّط لها من مخطّطات ومؤامرات دنيئة تستهدف البشر والشجر والحجر.

ما أروعك يا ابن يركا الغالية صياح كنعان (ابو نضال)، عرفتك في ساحات النضال والكفاح، في ميادين العزة والكرامة، تقاتل بالكلمة والموقف على امتداد أكثر من اربعين عامًا، هي سنوات تعارفنا في صفوف الحزب والجبهة، عرفتك شيوعيًا مكافحًا صلبًا، مناضلًا عنيدًا كصخر يركا، لا يلين ابدًا .

نم يا رفيق العين والفكر، فرفاقك اليراكنة والبواسنة والكفارسة وغيرهم، سيكملون المشوار الذي سلكته قبل نصف قرن.

ابو نضال صياح كنعان، أيها الراحل عنا، الباقي بيننا، في طريقنا وحياتنا وكفاحنا المثابر الطويل، سنتذكرك على الدوام، وأبدا على هذا الطريق.

وخفت ضوء السراج

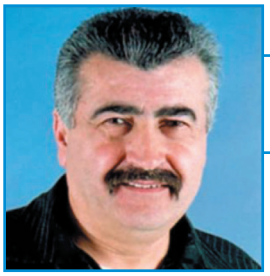

هادي زاهر

فارقنا قبل أشهر الشيخ صياح كنعان، والشيخ صياح كان صوته عاليا في مواجهة سياسة السلطة الإسرائيلية الظالمة التي تستهتر بحقوق السكان العرب، من هنا كان في الطليعة، المنظمين إلى لجنة المبادرة العربية الدرزية، في بلده» يركا» وكان قد كدّ على رزق الحلال فأقام ورشة لبيع حديد العمار ملبيًا حاجة كل طارق، لم يبخل في العطاء لكلّ محتاج وهذه الصّفات والأخلاق الحميدة دفعت أهل بلده ليكون محطة للثقة مما جعله في مقدمة من عمل على اصلاح ذات البين ليتحول إلى العنوان عند كل خلاف يحدث في محيطه، وان تكون مبادرًا فهذا معناه أنك لا تغوص في بحر ذاتك.. معناه أنك تترفع عن الجشع.. وأنك تعمل في سبيل الدفع بالمصلحة العامة إلى الامام، وأنك ترى في الشعوب سواسية و «لا تَقُل أصلي وفَصلي وإنّما أصل الفتى ما قد حَصَل».

وان تكون مبادرًا فهذا معناه أنك تناضل على كافة الجهات، لا سيّما في ظل سياسة « فرق تسد» والهجمة السافرة على انتمائنا القومي، معناه أنك تتصدى وتتحدى أدوات البطش دون ان تنحني مهما مورست عليك الضغوطات من قبل السلطة واتباعها.. معناه أنك تحمل السراج وسط العتمة وتبقى ممسكًا به وان احترقت اصابعك كي تضيء السبيل امام الاخرين وان تشعر بلذة روحية مقابل هذا العطاء الكريم.. معناه أنك لا تخرج ضميرك إلى إجازة مهما كانت الظروف قاهرة.. معناه أنك تحمل هموم الناس وتجعل نفسك بوصلة لترشد الضالين.. معناه أنك إنسان ترفض الاحتلال والعدوان.. معناه أنك ترفض ان تكون إمعة في يد الشيطان.. معناه أنك تتواصل مع أهلنا في الأراضي المحتلة عام ال 67 للتخفيف عنهم قدر الإمكان.

رحمك الله يا أبا نضال.. حملت الاسم بكل معانيه وابعاده، سيبقى صدى صوتك يدوي وسط الفراغ الذي احدثته وبمغادرتك التي ستكون فقدة لكل من عرفك.

مساهمة في نقاش سياسي

د. رائف زريق

حول التأثير والواقعيّة:

تطرح «الموحدة» شعاري التأثير والواقعية حرفيا، والدفاع عن مصالح الناس ضمنيا باعتبار أنّ ذلك ما يميّزها. لكن وكما هو معلوم فإنّه لا الموحدة ولا منصور عباس اخترع مقولة التأثير والواقعية، وتاريخ الحزب الشيوعي والجبهة الديموقراطية مليء بمصطلحات وتعابير تغدق في مديح التأثير والواقعية، والنائب أيمن عوده لم يكن حتى أوّل من يوظّف هذه الشعارات داخل الجبهة وان كان قد ذهب فيها شوطا أبعد ممن سبقوه في قيادة الجبهة. ويذهب بعض من يعتبرون أنفسهم وطنيّين راديكاليّين الى حدّ المسخرة وتسخيف خطاب التأثير والواقعية والمصالح، باعتبار أنّ الخطاب الوطنيّ يجب ان يكون خطاب المبادئ لا المصالح، وأنّ المطلوب هو المواجهة وليس التأثير، وأنّ الواقعيّة لا تعني الرضوخ للواقع.

أعتقد أنّه في معمعان حماس بعضنا في مواجهة الموحدة- وأنا من اولئك المتحمّسين لمواجهة خطّها وأعتبره خطرا سياسيا- يجب ألاّ يغيب عن أعيننا أنّ خطاب المصالح وخطاب التأثير بحدّ ذاته ليس هو المشكلة. لا بل أكثر من ذلك: هل يعقل أن يذهب حزب أو شخص أو قائد ما إلى السياسة وهو يعلن مسبقا أنه لا يرغب في التأثير على مجريات الأمور؟ أو أنّ مصالح الفئة التي يذهب كي يمثّلها ليست همًّا من همومه؟؟ هل يعقل أن نعطي ثقتنا لقائد من هذا النوع؟؟. من الطّبيعيّ، لا بل من الضّروريّ أن يحاول القائد السّياسيّ بكل ما لديه من قوّة أن يؤثّر وأن يحمي مصالح جمهوره وشعبه ومنتخبيه. إنّ هدف المبادئ في عالم السياسة هي خدمة مصالح الجماعة ورفاهيّتها كجماعة وككلّ. نحن نطالب بإنهاء الاحتلال وحقّ تقرير المصير والمساواة

زي **المصري**...

اللي بشبه **اللبناني**...

صحن الحمص
السوري نفسه...

والخليجي
هو نفسه
بالزبط...

وصحن الحمص ببلادنا مع **حمص وكمون نخلة**

بِهالبَساطة؟!! بِهالزكاوِة.

وإنهاء اللجوء لأنّ لنا ولشعبنا مصلحة واضحة في الحرية والاستقلال والازدهار. صحيح ، هناك مشكلة حقيقية إذا وضع الزعيم السياسي مصالحه هو أو مصالح أقربائه أو حزبه قبل مصلحة شعبه، اي عندما تصطدم المصلحة الخاصة بالمصلحة العامة. لكن ما دام القائد السياسي يسعى لخدمة مصالح شعبه فإنّ ذلك أهمّ عمل يقوم به، وعندما يقوم بذلك فإنّه يقوم بعمل مبدئيّ أيضا ومن الطراز الأول. مشكلة الشعب الفلسطيني مع «ابو مازن» مثلا لا تكمن في أنّه حافظ على مصالح شعبه وتخلّى عن المبادئ.. مشكلته تكمن تماما في عدم تحقيق مصالح شعبه...

طبعا، السؤال الذي يبقى مفتوحا: ما هي مصالح الشّعب؟ المصالح المادية في الخبز والعمل والتعليم والثقافة والمدارس والجامعات، كلّها بعض من مصالح الشّعب. لكن لكلّ شعب أيضا مصالح معنوية تكمن في الحفاظ على قدرة كل فرد من أبناء الشّعب، والشّعب كجماعة، أن يقرّر مصيره، اي ان يمارس حريته، وان يكون قادرا على صياغة حياته واختيار مساراته، ولأننا بشر، فنحن كائنات معنوية تعبيرية، ولسنا فقط نباتات تنمو اذا سُقيت بالماء. كذلك فهناك مصالح قريبة وهناك مصالح بعيدة، وقد يكون انجاز المصالح القريبة يضرّ بتحقيق المصالح البعيدة. هنا أعتقد يكون جوهر النقاش.

لننتقل لمقولة التأثير..هل هناك سياسيّ يذهب الى السياسة وغير معني بالتغيير والتأثير؟ لماذا يذهب إذًا؟ كفعل تطهري؟؟. كلّ من يعمل في السياسة يسعى الى التغيير والى التأثير. حتّى المناضل المقاتل والذي يذهب للمعركة يأمل، يسعى أو يعتقد بإمكانيّة التأثير.

أين المشكلة إذًا؟

التأثير :

إذا وضعنا جانبا الحالات القصوى مثل حالات الإبادة الجماعية، فإنّ أيّ عمل سياسيّ، خاصّة بين الدول، لا يتكلّل بالنجاح التّامّ إلّا بموافقة الطّرف الآخر. حتّى الانتصار يحتاج الى طرف آخر يعترف بالهزيمة ويوقّع عليها. قد تكون هذه الموافقة بتأثير القوّة العسكرية او المادية، بتأثير الحصار او ضربة عسكرية او ضغوط دولية، الخ. أي أنّه حتى الصراعات الدّوليّة التي، نسبيا، لا تخضع لأية معايير أخلاقيّة فعليّة وتخضع لعلاقات القوّة بالأساس، فإنّها تبدأ بلغة القوّة وتنتهي بلغة التّفاهم التي تعكس علاقات القوّة.

أمّا التأثير داخل الدولة ذاتها، بين القوى والأحزاب والمجموعات المتصارعة، يحتاج هو الآخر، ويحصل، ضمن علاقات قوّة. طبيعة علاقات القوّة داخل الدولة والصراع داخلها يختلف عن الصراع بين الدول، لأنه يفترض حدًّا أدنى من أرضيّة مشتركة بين الأطراف مثل فكرة المواطنة، الموجودة او المرجوّة (إلاّ إذا كانت طبيعة النضال هي لطرد المستعمر من البلد تماما وليس إنهاء

حالة الاستعمار والامتيازات الممنوحة للمستعمَر).

الفعل السّياسيّ في هذه الحالة يهدف الى التأثير على متخذ القرار، على سياسة الحكومة، الوزير، الشرطة الخ.

والتأثير يحتاج الى عاملَيْن وليس إلى واحد: يحتاج أولا الى الاستناد لعوامل قوّة، ويحتاج ثانيا الى لغة قادرة على مخاطبة صانع السياسة ومتخذ القرار، لغة قادر أن يفهمها وان يفهم الرسالة التي تنوي ايصالها. لكنّ المعضلة الأولى والأساسية في السياسة تكمن اساسا في رغبة واستعداد الطرف الاخر أن يصغي اليك اصلا. صحيح أنّه حتى يفهم يجب أن يصغي، ولكن لماذا عليه ان يصغي اليك اصلا؟

حتى يصغي، عليك ان تكون مصدر ازعاج، اي ان تكون لديك بعض مصادر القوة التي تذكّره دائما ان هناك مشكلة بحاجة الى حلّ، وأنّها ما لم تحلّ، ستكون لديه هو الاخر مشكلة. وفقط في حالة استعداده للإصغاء حقا، عليك ان تجد اللغة المشتركة التي تصوغ من خلالها مطالبك.

عليه، التأثير ليست قضية شرح فقط، التأثير اولا تغيير في موازين القوى كي تفرض نفسك كمشكلة بحاجه الى حلّ، وفقط لاحقا عليك ايجاد اللغة المشتركة. هناك اغراء كبير ان يقع المرء في الميل الى تحويل فكرة التأثير الى فكرة القبول اي ان تكون مقبولا على الطرف الذي تتحدث معه وان تقوم بتغيير مواقفك حتى يكون مستعدا للتحدث معك. صحيح، ضمن علاقات في نفس الدولة فان وجود حدّ ادنى من القبول لهو ضرورة للإصغاء وللتأثير ولاحقا لإحداث التغيير. لكن ما هو الحد الادنى؟ هذا يجب ان يكون جزءًا جوهريًّا في النقاش بيننا وهذا جزء اساسي من الخلاف بين تيارات مختلفة عندنا، وهذا موضوع يجب تطويره وتوضيحه لأنّ أحدا لا يقف خارج هذه اللعبة بالمطلق.

الخطر واضح وهو انه قد يحاول البعض ان يصبح مقبولا على المؤسسة لدرجة انه ليس لديه ما يطالب به اصلا، ولأنه قبل بكل قواعد اللعبة دون استثناء. قد يعتقد البعض ان هذا القبول هو مجرد قناع كي يقبل كلاعب في اللعبة، لكن ينسى أنّ القناع قد يصبح جزءًا من الوجه ومن المتعذر تبديله، وقد يعتقد البعض أنّ عليه الانحناء مؤقتا كي يدخل باب الكلام، لكن ليس هناك ضمانة ان ينتصب بقامته بعد ذلك وان يكون قادرا على استعادة مفرداته وروايته.

عليه، من يريد التأثير عليه ان يكون واعيًا لأن يكون عرضة لان يتأثّر، ومن يريد اللعب عليه ان يتعلم قوانين اللعبة ولذلك عليه ان ينتبه انه يخضع نفسه لهذه القوانين ايضا. لا احد يقع خارج قوانين هذه الجدلية وكل من عمل في السياسة عندنا يعرف جيدا هذه الضرورات ويحاول ان يناور بينها.

المشكلة مع الموحّدة- وهي ليست الوحيدة- انها تعتبر التأثير هو القبول، وهي مشغولة جدا بصورتها امام الشارع اليهودي الى حدّ الهلع، ممّا جعلها في حالة اعتذار مستمر. لا اعرف فيما اذا كانت تجربة الإسلامية الشمالية ماثلة أمام أعينها وانها خائفة وتخشى دائما من إمكانيّة حلّها، ولكن ايًّا كان السبب فمن الواضح انها خفضت سقف الكلام حتى تكون مقبولةً الى درجات لم يتوقعها الجمهور اليهودي نفسه، ومن ناحية ثانية لا يبدو انها حتى تلوّح بأي مواطن قوة او تحشيد شعبي او اعلامي او دولي، بمعنى انه ليس لديها اية عوامل ضغط لا سياسيا ولا اخلاقيا ولا حتى قانونيا.

بهذا المعنى فان المشكلة مع الموحّدة ليست في انها تطرح فكرة التأثير إنّما في انعدام أية قدرة فعليا على التأثير (الا اذا احتاجها نتنياهو للتصويت)، واعتقادها الخاطئ ان كونها مقبولة ومرضيا عنها فان ذلك بحدّ ذاته نوعا من التأثير. صحيح ان الحد الادنى من القبول ضروري للتأثير، لكن لغة الاعتذار المبالغ فيها من قبل الموحّدة في مناسبات لا حصر لها لا يمكن توهمها باعتبارها نوعًا من التأثير. انها جزء من الغاء الذات السياسية.

عن الواقعيّة:

تعزّز الموحّدة شعار التأثير بشعار الواقعيّة، وتقول لنا انها تعرف كيف تميّز بين الكلام الوطني الكبير الذي لا يملك اي رصيد ويدغدغ المشاعر لا اكثر، وبين الكلام الواقعي الذي يفهم الواقع وامكانات تغييره ولا يشطح بعيدا في كلام وطني كبير يطيب سماعه ويتعذر تحقيقه، يغني ولا يسمن.

لن يتأخر ردّ الوطني الثّوري الذي سيقول لنا ان الواقعيّة لا تعني القبول بالواقع انّما السّعي الى تغيير هذا الواقع الى واقع مغاير وافضل. عندما بدأ عرفات مسيرته وعندما بدأ نلسون مانديلا مسيرته كانت مجرّد احلام، لكنّها احلام صنعت الواقع وغيّرته، والفكرة والحلم اذا دخلت عقل وخيال الافراد في ذاتها جزء من الواقع، وعليه فإنّ الواقع لا يحوي ويشمل الواقع المادي انما الواقع المعنوي والخيال والإرادة. بهذا المعنى فإنّ الواقع يصبح واقعا عندما نقبل به تماما، وقبل ذلك فهو مرشح لان يكون واقعا ليس اكثر. عدا عن ذلك سيرفض هذا الثوري التهمة بأنّه غير واقعيّ بالمطلق، لكنّه يعيد تفسيرها بطريقة اخرى بحيث تتصالح مع حلمه بعيد المدى، ويصرّ انه يأخذ الواقع بعين الاعتبار، طبعا لكنّه لا يراه قدرا محكوما، بعكس الذي ينظر للواقعية على شاكلة شعار الموحّدة باعتبارها قبولا للواقع.

لكنّ السّجال لا ينتهي هنا لأنّ صاحب شعار الواقعية في مدرسه الموحّدة سيصرّ على أنّه هو الآخر لا يرى الواقع قدرا محكوما وأنّه يسعى لتغييره وأنّ لديه أحلامًا وطموحات وتصوّرات وخططًا وآمالاً نحو المستقبل، تماما كما يوجد لدى الوطني الثوري، لكنّ هذه الطموحات والمشاريع قد

تكون متواضعة اكثر وهي قادرة أن تميّز بين الممكن غدا والممكن بعد عام، وما هو ممكن بعد عام والممكن بعد قرن من الزمن..

لا يمكن كسب هذا النقاش او حسمه لصالح اي طرف على هذا المستوى من النقاش المفاهيمي المجرد. الواقعي نموذج الموحّدة سيصرّ حتما أنّ لديه أحلامًا ولا يقبل الواقع كما هو وبذلك ينفي تهمة الاستسلام للواقع، والوطني الثوري المتهم بفائض الأحلام سيدافع عن نفسه بأنّه يقرّ ببعض الواقع الماديّ، لكن فقط بمعنى قبول ما هو ملزم بقبوله كي يغيّر هذا الواقع وأنّه بدون احلام كبيرة، فإنّ شيئا لم ولن يتغيّر.

إنّ ما يمكن استنتاجه ممّا سبق أنّ إبقاء النقاش على هذا المستوى من التجريد والعمومية لا ولن يقدم النقاش خطوة واحدة، لأنّ كلاً من الطرفين لديه مشروع يحوي خلطة تمزج قدرا من الواقعية مع قدر من الاحلام وقدرا من قبول الواقع مع قدر من رفضه. ويبقى السؤال العينيّ المشخّص لماذا هذه الخلطة في هذه اللحظة افضل من تلك الخلطة في هذه اللحظة. بدون الخوض في عمق التفاصيل وتحليل الحالة العينية المشخصة تبقى تهمة «المزاودة" او «الغوغائية» او «المراهقة السياسية" او « المخاطرة» وهي التهم التي يوجهّها "الواقعي» احيانا كثيرة لكلّ من هو أكثر راديكالية منه هي تهم فارغة ما لم تدعم بتحليل عينيّ مشخّص، والأمر ذاته ينسحب على التّهم الذي يوجهّها من يرى نفسه راديكاليًّا للسياسيّ الذي يرى نفسه واقعيا مثل تهم « الانهزامية» و «الانبطاحية» «والتفريط".

لا بديل عن ضرورة إيجاد نقطة التوازن بين واقعنا واحلامنا، وأعتقد أنّه على المبدئيّين بيننا ان لا يسخروا من فكرة وضرورة إحقاق التوازن هذا، باعتبارها نوعا من المساومة. لا توجد اي نقطة خارج هذا الخط الموصل بين واقعنا وأحلامنا ومن العبث البحث عن موقع فكريّ او اخلاقي او سياسي يريحنا عناء البحث عن نقطة التوازن هذه. وعلى ما اعتقد فإنّ النقاش الحقيقي يجب أن يدور ما هي وأين تقع نقطة التوازن هذه اعتمادا على قراءة الحالة المشخصة، والموقف المبدئي - كما أفهمه- هو الدفاع والالتزام بهذه النقطة وبهذا الموقع - بعد تشخيصهما وتحديدهما- وبالدفاع عنهما بقوة ومثابرة ما دمنا مقتنعين بحقّ وحقيقة أنّه يمثلان نقطة التوازن المناسبة. (وتعبير « المناسبة» إشكاليّ جدا لكنّه ضروريّ في سياق النقاش هذا وسأعود إليه لاحقا) .لماذا الموحّدة- باعتقادي- لا تقيم في نقطة التوازن التي اعتبرها ملائمه؟؟ هذا يحتاج الى تحليل عيني مشخص.

عن التوازن وعن الكوارث:

قد يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة « التّوازن» في توصيف العلاقة بين واقعنا وأحلامنا، بين

الثورية والانهزامية، مشهد أشبه بشخص يسير على حبل دقيق، يحمل عصا طويلة بيده، ومن شدّة خوفه ومن السقوط فإنّه لا يقدم على أية حركة ويبقى ساكنا في مكانه، لا يتقدّم ولا يتأخر ولا يميل يمينا او يسارا. هذا ليس المقصود بالتوازن. التوازن لا يعني انعدام الحركة والسكون.

وقد يوحي التوازن ايضا بوجود منطقة وسطى بين منزلتين. صحيح أنّ التّوازن هو بالضرورة نقطه بين قطبين، لكنّ هذه النقطة لا تعني نقطة تقع في منتصف الطريق. النضال ضدّ الاحتلال من اجل الحرية لا يعني ان تقبل بنصف احتلال ونصف حرية باعتباره نقطة الوسط بين الاثنتين. وعليه التوازن لا يعني نقطة الوسط.

لكنّ التّوازن يعني اولا أنّه لا يمكن حسم أيّ نقاش عينيّ في وضع سياسيّ تاريخيّ معين عن طريق طرح ادعاء واحد او توجيه تهمة واحدة جاهزة للخصم مثل تهمة: مغامر ثوريّ غير واقعيّ، او بالمقابل تهمة انهزامي يرضخ للواقع. كل شخص، وكل موقف لكل حزب معرّض لواحدة من هذه التهم: من ينادي بحلّ الدولتين يعتبر من يدعم خطّة ترامب وصفقة القرن أنّه انهزامي، ومن يدعم الدولة الديموقراطية الواحدة التي يعيش فيها اليهود والعرب بمساواة يتهم اصحاب حلّ الدّولتين أنّه انهزامي، ومن يدعو لتحرير فلسطين وطرد المستعمر يعتقد ان أصحاب حلّ الدولة العلمانية الديموقراطية على أنّهم مفرّطون ومتواطئون. والعكس صحيح.

عدا عن ذلك فالمقصود بالتوازن أيضا هو الإدراك العميق لدى كلّ راديكاليّ أو ثوريّ بأهمية تحديد أهداف محدّدة ومعيّنة وتحقيقها وإنجازها ومراكمتها وتطوير لغة ووعي ونوع من الممارسة التي تعزّز معنى المقاومة. بدون تحديد أهداف عينيّة (منع هدم بيت، اقالة وزير، الغاء قانون الخ)، فإن تأخّر تحقّق الأهداف والأحلام الكبيرة سوف يخلق حالة من النّكوص والإحباط والتلذّذ بالفشل السياسي والتعويض عنه بتشدّد فكري أخلاقيّ. التّوازن في هذا السّياق يعني ايضا فنّ المراكمة، الاهتمام بالإنجازات العينية دون حجب الرؤية عن الأهداف البعيدة والنبيلة. لكنّ ذلك يعني ايضا ألاّ تجعل غبار الإنجازات اليومية ان يحجب الرؤية التي ترشد العمل السياسي برمّته.

المشتركة ليست في أحسن حال ، ولَم تكن كذلك ولم تحقق ما كان متوقعا منها وخلقت في أحيان كثيرة شعورا بالبلبلة. لكنّ هذه البلبلة لا تتعلق فقط بالشخوص ونوعية القيادة إنّما ايضا بنوعية وطبيعة المرحلة وإشكالاتها، والتي تستدعي هذا النوع من القيادات، ولا يمكن الاكتفاء بكيل التهم لقيادة المشتركة بدون الحديث عن السياق العام الفلسطيني والعربي والدّوليّ.

على أية حال فإنّ من يرغب بمحاسبة قيادة المشتركة من باب الوازع الوطني والحرص على مصالح شعبه، لا يمكنه أن يكتفي بذلك، لأنه اذا تسببت المشتركة بمشاكل فإنّ انتصار الموحّدة

سيشكّل كارثة سياسيّة من الناحية الوطنية، وفي ظروفنا ستشكّل مأسسة غير مسبوقة لنفَس سياسيّ استجدائيّ بطريقة غير معهودة، ولتقسيمنا الى عرب جيّدين وعرب إرهابيّين.

اذا وضعنا جانبا زلاّت اللّسان المتكررة (للدكتور عباس) والتي تكشف شيئا عن فهم طبيعة العلاقة مع الدولة، إلا أنّ الأطروحة الأساسية التي يروّج لها تشكل مشكلة حقيقية، ألا وهي الاطروحة بأنّها (أي الموحّدة) مستعدّة للذهاب للحكومة مع من يتجاوب مع مطالبها، ان كان نتنياهو او من يقف مقابله إن كان جانز او لبيد او غيره.

إنّ هذا المنطق هو منطق اللوبي، الذي يكون على استعداد لدعم أيّة حكومة تستجيب لمطالبه. إلّا أنّ منطق اللّوبي يقوم على الفرضية انه مقبول اصلا في اللعبة السياسية وانه قادر ان يلعب لعبة الميزان وان ينقل ولاءه من طرف الى آخر بين ليلة وضحاها. ومنطق اللوبي يقوم ايضا على انه ليس لصاحبه مواقف سياسية خاصّة به انما يسعى لتكبير حصته في الكعكة ليس اكثر، ويترك أمور السياسة الكبرى لغيره. ومنطق اللوبي يقوم على فكرة عدم إقامة النضال والتحالفات السياسية الأيديولوجية، وعليه فإنّ لحظة القوّة الوحيدة التي يمارس فيها لعبته هي لحظة التصويت، أمّا عدا ذلك فيكاد يكون معدوم القوّة لأنّه وضع نفسه سياسيا وفكريا خارج السياسة ونأى بنفسه عن أيّة تحالفات او صراعات عينيّة ولا شأن له في حريّة الصّحافة، المبنى القانوني، الاستيطان، الخصخصة وغيرها.

هل يمكن للموحّدة ان تكون شاس العربية؟

قد تستطيع ان تكون شاس، لكن فقط بعد أن تصبح موضع إجماع في الخارطة السياسية الإسرائيلية. ستصبح موضع إجماع في اسرائيل فقط اذا فقدت كلّ لون سياسيّ وطنيّ وتخلّت عن أيّة مشاريع فيها تحدٍّ لسياسة الدولة البنيويّة. أمّا لونها الدّينيّ فسوف يتحوّل إلى لونها الوحيد شاءت ذلك ام ابت لأنه بدون هذا اللون لا لون لها، ولا مشكلة لإسرائيل مع ذلك.

هذه فقط بعض الاسباب العينية لماذا يمكن اعتبار الموحّدة مشروعا يهدّد كلّ العمل السياسي الوطني في الداخل ويضعه في خانة عدم الشرعية واعتباره ضربا من التّطرّف الداعم للإرهاب. الموحّدة ستكون المتحدّث الوحيد أمام مؤسّسات الدولة، والنخب الاقتصادية والثقافية العربية ستصفّق لها وتصطفّ وراءها.

المشتركة ليست مثالا يحتذى وبعض مواقفها إشكالية، لكنّ نجاح طريق الموحّدة يشكّل كارثة وطنيّة وسياسيّة. الذي يرفض المشتركة بسبب تأتأتها سيجد نفسه مع « الموحّدة» وسيكون متأخرا عندها محاولة بناء مشروع وطنيّ في المنظور القريب.

مصالح جديدة وأفكار قديمة

إياد الحاج

نخضع، جميعًا، بوعي أو بدون وعي، لتأثيرات المجتمع الرّأسماليّ الاستهلاكيّ. وهو مجتمع يطمح إلى السّرعة في أنماطه الاستهلاكيّة في مختلف المجالات. وتدور هذه الأنماط في فلك الرّبح، تسحبنا إليها، دون أن ندري، حتّى يدمن البعض على ممارستها فتصبح جزءًا من حياته اليوميّة، لا يمكن الاستغناء عنه، ومن خارج هذه الأنماط تقف العقول المدبّرة، تراقبنا، وتحسّن أداء أنماطها، حتّى نشعر بالرّاحة، ونبتسم ونحن نسدّد الفواتير الاستهلاكيّة لأصحاب رؤوس الأموال التي يتمتّعون بأرباحهم المتراكمة، من استهلاكنا المفرط للسّلع التي تتفتّق عقول دوائرهم باختراعها تلبية لحاجاتنا، من أساسيّات ومن كماليّات.

راقبوا نمط طعامنا وشرابنا، ثيابنا وزينتنا، نظافتنا الشّخصيّة والبيتيّة والعامة، وسائل اتصالاتنا، سفرنا ... والقائمة أطول من هذه المقالة بما لا يقاس. وتحضرني إحدى نشرات الأخبار الإسرائيليّة التي أوردت الخبر التّالي: قدّمت شبكة «رامي ليفي» الإسرائيليّة جائزة لإحدى عاملاتها، وهي من فرع القدس، لحفظها أسعار عشرة آلاف سلعة تبيعها الشّبكة. ولك أن تقدّر الحجم الهائل المعروض بإغراء محكم أمامك، أينما توجهت قدماك في هذه السّوق الكبيرة التي نعيش فيها.

وكما تؤكّد الماركسيّة بأنّ الوعي انعكاس للواقع، فإنّ من يعش في ظلّ هذه الأنماط فلا بدّ أن يتأثّر بها شاء أم أبى، فكم بالحريّ الأجيال الجديدة التي ترعرعت في معمعان الثّورة التّكنولوجيّة المنفلتة من كلّ عقال، والتي تفاجئنا باختراعاتها التي تقصّر المسافات أكثر، وتختصر الأوقات أكثر فأكثر. إنّ هذا الواقع الاستهلاكيّ الرّأسماليّ له كبير الأثر في بلورة وعي وأفكار وقناعات الجيل الشّابّ؛ وهذه الخلاصة التي أوردتها تثبت صحّتها لي يوميًّا من خلال مشاهداتي المستمرّة لسلوك هذه الأجيال، بحكم عملي في التّعليم.

بناء على ما تقدّم فإنّ أجيالًا عديدة نشأت في هذا الواقع قد تأثّر وعيها به، وتغلغل هذا التّأثير إلى عمق المواقف والآراء، فلا عجب أن نرى البعض منّا يسعى إلى تحقيق مصالح معيّنة بنفس الأنماط السّائدة في المجتمع الرّأسماليّ الاستهلاكيّ النّامي في البلاد، وما طريقة التّفكير المطروحة اليوم، في ضرورة الاقتراب من الصّحن، لكي نحظى بحصة ممّا فيه، ونحن نقبل على الانتخابات العامّة الرّابعة، في فترة وجيزة، إلّا تعبير عن هذه الأنماط المتعمّقة في الوعي، حتّى أنّها لم تترك

حمودي لمواد البناء
وجميع مستلزمات الحدائق

بتدور على أسعار وجودة؟
ما الك غير حمودي

- جميع أنواع مواد البناء
- جميع مستلزمات الحدائق
- جميع أدوات العمل
- كلها تحت سقفٍ واحد

مجد الكروم - شارع 85، مقابل محطة الوقود דור אלון

0505745879 0508869702

مجالًا، حرامًا أو حلالًا، إلّا ودخلت فيه، فكم بالحريّ عندما تتحوّل البلاد إلى سوق كبيرة، يخضع كلّ ما فيها، ومن فيها، إلى قوانين السّوق، وتعمّ التّجارة كأداة للتبادل بين المتسوّقين فيه!

وما هي الأفكار التي تستند إليها المصالح الجديدة لشريحة من النّاس تريد أن تقترب من الصّحن، لكي تنال منه حصّتها، وهل هي أفكار جديدة فعلًا؟ يتبيّن أن هؤلاء الذين يندفعون نحو الأحزاب الصّهيونيّة، والذين يشقّون إطار الوحدة حول برنامج الحدّ الأدنى للمصالح العامّة للجماهير العربيّة، وللقضايا الأساسيّة التي تمثّل مصالح البلاد الحقيقيّة، لا يطرحون شيئًا جديدًا، فهم يردّدون مقولة «التّأثير من الدّاخل»؛ وهم بذلك ينطلقون من ذاكرة محتها مصالهم، ومن تسطيح لعمق تجربتنا السّياسيّة التي أثبتت المرّة تلو المرّة أنّ هذه الادّعاءات فارغة، ولم يستطع مروّجوها من التّأثير على السّياسة العامّة للائتلاف الحاكم، بل بالعكس فقد ثبت أنّه جرى استغلال هذه المواقف لتلميع صورة هذه الائتلافات خارجيًّا وداخليًّا، بحيث كان المستفيد أصحاب الائتلاف الحاكم، وليس الذين اقتربوا من الصّحن.

إنّ الوقائع أثبتت أنّ أصحاب هذه الأفكار لم يغيّروا السّياسة العامّة للحكومات، ولم يحصّلوا الحقوق المطلوبة لجماهيرنا، ولكنّ الاستفادة المزعومة كانت شخصيّة لأصحابها وللمقرّبين منهم، أمّا المصلحة العامّة المزعومة فلم تكن إلّا خاصّة وشخصيّة ونفعيّة وضيّقة؛ وهذا النّمط التضليليّ الاستهلاكيّ الانتهازيّ لا يمكن أن يكون بديلًا للنهج الوحدويّ الكفاحيّ الذي يمثّل المصالح الحقيقيّة العامّة لجماهير المواطنين الواسعة من الشّعبين.

أمّا الفرز الانتخابيّ الذي نراه اليوم، فما هو إلّا تعبير عن الفرز السّياسيّ المتبلور في أذهان النّاخبين، بين نهجين مجرّبين، منذ قيام الدّولة، وحتّى اليوم. النّهج الأوّل هو ما مثّله الحزب الشّيوعيّ من تمثيل للمصالح العامّة للشّعبين، ومن سياسة تحقّق قيم السّلام والمساواة والعدالة الاجتماعيّة، في أوسع تحالف أمميّ في البلاد ينتهج النّضال وسيلة لتحصيل الحقوق. وقد اتّسعت دائرة أصحاب هذا النّهج بتأسيس الجبهة الدّيمقراطيّة للسّلام والمساواة، في القسم الثّاني من سبعينات القرن الماضي، وهي تبلغ ذروة جديدة بإقامة القائمة المشتركة، وعليه فالقائمة المشتركة تعبير عن نهج وحدويّ كفاحيّ يمثّل المصالح العامّة للمجتمع العربيّ، والمصالح الحقيقيّة لأكثريّة مواطني الدّولة. وغنيّ عن البيان أنّ فضل البقاء الكريم في هذه البلاد يعود إلى هذا النّهج عبر العقود المنصرمة، والفترة الحاليّة.

ومن يخرجون على هذا النّهج اليوم، ويقيمون قائمة جديدة يغامرون بمصالح النّاس من أجل تحقيق غاياتهم في التمثيل البرلمانيّ أوّلًا، ومن ثمّ التّمثيل البرلمانيّ الحرّ، المتحرّر من أيّ التزام بمتطلبات النّهج الوحدويّ الكفاحيّ؛ هي مغامرة بالمصالح العامّة لغايات خاصّة، فضلًا عن خدمة هذه المغامرة لأهداف نتنياهو الانتخابيّة، فهذه المغامرة، شاء أصحابها أم أبوا، تصبّ في مصلحة الخطر الأكبر على الجماهير العربيّة، وعلى مصالح الشّعبين الحقيقيّة، وهذا يتحقّق

رغم كل التبريرات التي أعلنها أصحاب النّهج الجديد القديم، والتبريرات التي يمكن أن يقولها أصحاب مبادرة شق وحدة الصّفّ الكفاحيّة.

إنّ بناء قائمة جديدة هو رفض لمبادئ الوحدة التي تكافح من أجل الحقوق الأساسيّة لنا بالأساس، وهو متاجرة بعشرات ألاف الأصوات في سوق الانتخابات، وسيثبت أنّ الجمهور الذي يدّعون تمثيله هو الخاسر، إضافة إلى الخسارة العامّة في تفتيت الوحدة، وتحقيق أهداف العائق الأكبر أمام تحقيق مطالب هذه الوحدة الكفاحيّة، وهو نتنياهو نفسه، الذي يسعى إلى إضعاف أي بديل له، والذي يجتهد في توحيد معسكر اليمين الإسرائيليّ ليبقى في السّلطة.

أشعر بالاشمئزاز المقيت من الادّعاء المجوج: ماذا فعلت القائمة المشتركة؟ وهذا الكلام يصدر في الأصل عن الذين يمسكون بمقاليد الحكم، ويصرفون الميزانيّات على الحرب ويقتلون السّلام، ويستثمرون بسخاء في الاستيطان ويكرّسون الاحتلال، ويحرموننا من الميزانيات ويعمّقون التّمييز، ويهملون قضايا المجتمع العربيّ ويتّهمونه بالتّخلّف؛ ونجد للأسف من يردّد هذا الكلام، وبدون خجل، يعفون السّلطة من مسؤوليّتها على الوضع القائم، ويتّهمون المعارضة بعدم التّأثير فيه، فأي تضليل يمارسه مروّجو أصحاب هذه الحجج!

إذا أردنا القول فلننطق بالحقيقة، ولن يفيد تغليف جوهر المواقف بالقشور الزّائفة. إنّ تكوين القوائم الجديدة في ساحتنا الانتخابيّة هو ممارسة التّجارة بالسّوق، وهو يخلو من أي مسؤوليّة وطنيّة، ومن أيّ انتماء للمجموع الذي حدّد برنامجه ونهجه بناء على رؤية سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وحدويّة وكفاحيّة، وكلّ التّبريرات للانفراد بالموقف، والانتقال للنّهج الآخر الذي جرّبناه وسئمناه غير مقنعة. وكما يقول المثل: «اللي بجرّب المجرَّب، وبرجع للمجرَّب بكون عقله مخرّب». وهو يخرّب عقول غيره أيضًا، ويتاجر بأصواتهم، أيضًا، في سوق الانتخابات.

إذا فاز أصحاب نهج «التّأثير من الدّاخل» بالتّمثيل البرلمانيّ، أو إذا فشلوا فنحن الخاسرون؛ لأنّه في الحالتين تكون المبادرة إلى شقّ وحدة الصّفّ قد نجحت، وتكون أهداف زعيم معسكر اليمين قد تحقّقت، وسيكون هناك تأثير سلبيّ كبير على وعي الأجيال التي تخضع لعمليّة غسل دماغ استهلاكيّة يوميّة، في مجتمع رأسماليّ يسعى وراء الرّبح الشّخصيّ على حساب المصالح العامّة.

إنّ الفرز السّياسيّ الحاصل على السّاحة الانتخابيّة العربيّة هو تعبير عن مصالح جديدة، لفئات تسعى للوصول إلى تمثيل برلماني متحلّل من الالتزام بقواعد العمل الكفاحي المشترك الذي رست قاعدته وبلغ ذروته ببناء القائمة المشتركة، وهي تكرّر سياسة قديمة أثبت الواقع نقيضها، وهذه التّجربة الجديدة، تعيدنا خطوات إلى الوراء، وسيكون علينا تسديد الثّمن من جديد لنستخلص مرّة أخرى ما ثبت عدم صحّته، ومن أصرّ على إقحامنا في هذه التّجربة يتحمّل المسؤوليّة عن النّتائج.

كفرياسيف 2021/2/10

محلات كهرباء

כל מחיר מנצח

TENאלקטריק

שירות ואחריות

אלקטרה

يركا بناية اخوان حبيش

04-9969882/04-9996361

حبیش

هلم ویڈیو

SAMSUNG AEG ZANUSSI Sauter BOSCH Electrolux

يوم المرأة

يوم عيب على الرجل

إبراهيم طه

الإنتاجية مفتاح الاستقلال. مِفتاحٌ لا يصدأ ولا ينفلّ ولا يبلى. والاستقلال ضدّه استعمار. استعمار المرأة مؤشّر عكسي لطاقتها الإنتاجية. والإنتاجية لا تتحصّل إلا بأدوات إجرائية: المعرفة والعلم. والعلم يقتضي التحلّل من سطوة الجغرافيا. والجغرافيا منزل يظلّ ينحسر حتى ينحصر في حدود المطبخ. والمطبخ رديف المرأة. رديف معجمي. من مرادفات لفظة «أنثى» في المعجم المعيشي العربي «مطبخ». وهذا نعرفه بطريقتين: التجربة المتراكمة والدرس الموجّه. مقالي عن هاتين الطريقتين. الأولى تقف في صميمه أمي، رحمها الله، وهي أيقونة استعارية لأدب الواقع، والثانية تمثّلها امرأةٌ هي رمز مفتوح لواقع الأدب. أمي أيقونة استعارية لآداب الواقع كلها: أدب الأمومة والعمل والاجتماع والاقتصاد والدين الفطري الحنيف... وفي الثانية امرأةٌ هي رمز لجدّاتنا وأمهاتنا وأخواتنا ونسائنا وزميلاتنا يعكس صورَها وسلوكيّاتها وأخلاقيّاتها الأدبُ العربي في أنساق كتابية تصرّ على أن تستمرّ.

أعترف أنّ «يوم المرأة» أو «المرأة في يومها» يربكني، بغضّ النظر عن الصياغات، لأنّ المرأة فيه استثناء. لأنّ المرأة فيه «آخر». يربكني ويجعلني أتململ في مجلسي لأنّ الرجل فيه نموذج مثالٌ للقياس. به أو عليه نقيس «أخرويّة» المرأة و«غيريّتها» وحقيقة انزياحها عن النموذج المثال. الرجل أصل وجوهر والمرأة عَرَض. وهذه الحالة من الارتباك والتململ ترافقني كلّ سنة من جديد، حتى صارت النسويّة ظاهرة سنوية. مؤسف. أن نجعل للمرأة يومًا «نكرّمها» به أو

به نحتفي بها ونحتفل يعني أنّ دواعي التكريم والاحتفاء والاحتفال ما زالت قائمة، يعني أنّ دواعي التخصيص ما زالت فاعلة. يوم المرأة يعني أنّ المرأة ما زالت تحتاج إلى يوم يذكّرنا بالمهانة اللاحقة بها. يوم المرأة يوم عيب على الرجل.

قلت إنّ أمي، رحمها الله، أيقونة استعارية لأنها نموذج حيّ لكلّ امرأة اخترقت جدران المنزل، على وضاعته ووهنه، وخرجت إلى فضاء أرحب. خرجت وعملت في أرضها وزرعت وقلعت وطعمت بعرقها وربّت وأنشأت على قيم العمل والإنتاج. العمل في الأرض عندها وعند مثيلاتها مسألة وجود. بهذا كله كبرت أمي في عيني نفسها وفي عيني أبي وفي عيون بناتها وأبنائها وفي عيون الجيران والناس والأهل. كبرت وعظمت. وأمي لم تكن استثناء. هكذا كانت نساؤنا عاملات منتجات مكافحات مجاهدات.. يستحين من عرق الرجل. يستحين من عرق الرجل إذا قررن في بيوتهن وظللن ضمائر مستترة مضمرات.

أمي، ككلّ أمهاتنا وجدّاتنا الأصيلات المكافحات، نسويّة بالممارسة. نسويّتها فطرية لا ترافقها فذلكة النظريات أو متاهات الفلسفات. أمي هي أيقونة استعارية كتب عنها محمد نفاع في أدبه فكتبها بصدقِ خبيرٍ وعمقِ مجرّب. محمد نفاع جعل للمرأة أيامًا تتحرّك فيها وتدور. مع مدار الفصول وتعاقب المواسم تدور. وإلى جانبه يبرز كاتبان آخران يوسف إدريس وزكريا تامر. هؤلاء الثلاثة أكثر الأدباء الرجال نسويّة في الأدب العربي كله على المسارين التراكمي والنوعي على حدّ سواء. ما يعني أنّ المرأة عندهم ليست مسألة ظرفية أو مرتهنة بمناسبة عابرة أو مقام مؤقّت. وما يعني بالضرورة أنّ العمق الفكري، الذي ينهض عليه مشروعهم النسوي، مسحوبٌ من مرجعيات أيديولوجية واضحة، تتآلف رغم اختلافاتها في منظومة ما بعد الاستعمار (Post-Colonial Theories). منذ سنوات وأنا أحرص على تدريس مساق متقدّم لطلبة الماجستير والدكتوراة عن النسويّة في الأدب العربي الحديث. وعن هذا الموضوع كُتبت بإرشادي خمس أطروحات ماجستير ودكتوراة. قرأت الأدب العربي من أقصاه إلى أقصاه لأبحث عن المرأة فيه وعن ظلالها وآلامها وآمالها. قرأت فعرفت أنّ حظّ الأنثى فيه مثل حظّ الذكرين. تكتب المرأة في قضايا النسوية ضعف ما يكتبه الرجل. والأمر طبيعي لكنه غير معقول.

النسويّة أيديولوجيا. ولأنها أيديولوجيا فهي لا تنحصر في البيولوجيا. فقد يؤمن بها الرجل مثل المرأة تمامًا. والمرأة، كالرجل تمامًا، قد تؤمن بالشيوعية مثلا لأنها أيديولوجيا ليس لجنس المخلوق دور فيها. وحين يكون الرجل نسويًا حقيقيًا لا مُرائيًا لا يمكنه أن ينطق من حنجرة الذكورة. لا يَتَنَسْوَن الرجل في أدبه تعاطفًا أو تضامنًا مع «آخر». لأنّ المرأة عضوية غير مقحمة في هويّة الرجل، مثلما أنّ الرجل عضويّ في هويّتها، فلا بدّ من الحديث عن همّ إنساني واحد. ولنا في قصّة «تمرين في الدفاع المدني» للأديب محمد نفاع مثال على ما أقول. حتى أنّ صوت «عمّتنا» يتقاطع ويتشابك في آخر القصّة مع صوت زوجها ذيب ليصير صوتًا إنسانيًا واحدًا

يقفز عن البيولوجيا وتصنيفاتها الجنسية. أذهل القاضي هذا التداخلُ الصوتي الحكيم والنطق من حنجرة واحدة. أسلوب ذكي للتعبير عن هذه الفكرة. ومن هذا المنظار رفضت نسويّات كثيرات وسم الأدب بالنسويّة ومحاصرته في مفهوم فئوي بيولوجي.

الأدب أحد الأذرع الإجرائية القوية والطويلة للفكر النسوي. يوظّف النسويّون، من الجنسين، الأدب للدفع بالهمّ النسوي إلى مقدّمة الاهتمام الإنساني. والهمّ النسوي في الأدب العربي الحديث يمكن إيجازه في ثلاث حالات: (1) الذكر، وهو حالة بيولوجية، (2) الرجل، وهو حالة أخلاقية، (3) الفحل، وهو حالة سلوكية... وهذه تتوازى مع ثلاث غايات كبرى وتتقاطع: (1) تقويض مفهوم الذكورة، (2) تقويض مؤسّسة الزواج، أو إعادة تعريفها وترميمها بما يتناغم مع أعراف الرجولة الحقيقية، (3) ضرب السلوكيّات الفحوليّة... وحين يستفحل الذكر يتحلّل من الرجولة ومعاييرها الأخلاقية المثالية ليعود إلى حالته البشرية البدئية، التي سبقت الإنسانية، ويصير أقرب في سلوكه إلى الحيوان منه إلى الإنسان. لكنّ مؤسّسة الزواج تظلّ قضيّة القضايا في الأدب العربي النسوي. باسم الزواج تصير المرأة حريمًا. باسم الزواج وتحت جناحيه يمارس الرجل ضدّها أقسى ممارسات الحرام وأقصى أشكال القهر والسحل. ولنا في الأدب الخليجي مثال مخيف.

سلّطت المجتمعاتُ الذكرَ على الأنثى منذ كانت. ومنحته امتيازات يستعمر بها المرأة ويصادر مشيئتها. صحيح، تختلف المجتمعات بعضها عن بعض في التفاصيل في كمّها وكيفها. لكنّ هذا هو واقع الحال على عموم الأمر وإطلاقه. والدليل الأول على ما أقول هو أنّ المرأة ما زالت تحتاج إلى «يوم» ذكرى، يذكّرنا بما تقترفه أيادينا بحقّها. والدليل الثاني حاجة الإنسانية إلى أيديولوجيا نسوية تنتصر للمرأة. وليست هناك حاجة مثلها في أيديولوجية توازيها للرجل. لكنّ هذين الدليلين علامتان أيقونيّتان حاسمتان جازمتان لما يحصل بالفعل في الواقع المعيش. وهو فوق الأدلّة كلها. حين يغير الرجل على المرأة تراه يحرص على تسويغ فعل الإغارة بمنظومة اصطلاحية ابتدعها بكاملها لهذه الغاية. هذا بالضبط ما يسمّونه الجندرية أو الجنوسة (Gender). التفكير الجنوسي هو تفكير اجتماعي يتحرّك فيه الرجال كرزمة واحدة موحّدة لتثبيت تفوّقهم على المرأة وتكريس سطوتهم عليها. يحمي الرجل ذكورته إلى حدّ الفحولة والاستفحال بمنظومة «أخلاقية» يفصّلها على قدر حاجاته، تصير بالتراكم والتداول أعرافًا اجتماعية «مقدّسة». وهكذا صارت المرأة تُمنح من «حقوق» وتُحرم بقدر ما تسمح به هذه المنظومة التي نسمّيها أحيانًا «أصولا وعادات وتقاليد». ولكم أن تتخيّلوا بعدي عن الهزء بالأصول والعادات والأخلاق الأصيلة التي نتوارثها عن آبائنا وأجدادنا بفخر واعتزاز. أنا محسوب على من يصون القديم ويرعى الرميم. لكنّ الحديث هنا عن أخلاقيات جنسوية تفرّق بين الجنس والجنس تفريقًا مقيتًا لحسابات غير أخلاقية ولا إنسانية. النسوية الحقيقية تثور على كثير من مظاهر الجنوسة عندنا. وينبغي أن تفعل.

جبرا إبراهيم جبرا...
بائع القلق في مجتمعات الطاعة والرقابة

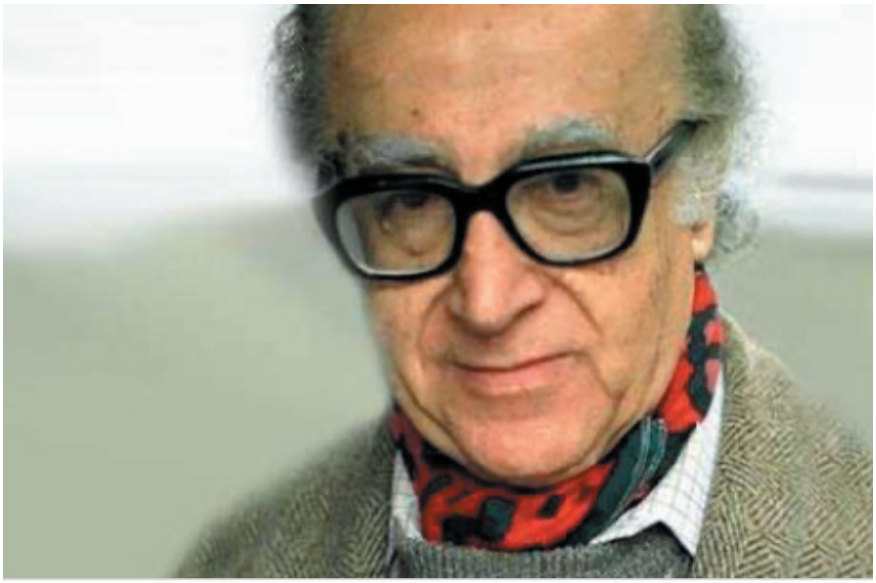

د. باسيليوس بواردي

لا تهدف هذه المقالة إلى عرض سريع لحياة جبرا إبراهيم جبرا (1920–1994)، الفلسطيني الذي استقر بالعراق بعد العام 1948، إنما تحاول تسليط الضوء على نتاجه الأدبي من خلال مواقفه الوجودية التي ساهمت برأيي في إنتاج نص أدبي عربي يصارع البديهيات الأدبية والأيديولوجية والسياسية والعسكرية، ويحاول كسر دوائر الانتماءات القسرية المفروضة على العملية الأدبية، الفكرية، الجمالية، المعرفية، الفنية والثقافية عامة. إذ حتى في انتماءاته الواضحة (أو التي قد تبدو واضحة) المجبولة بالثوابت، كانتمائه الفلسطيني أو العراقي المشغول بصراعه العلني أو المضمر مع السلطة، يبقى جبرا مشروع «ترحال جديد» ومتجدّد نحو مناطق معرفية أو نحو فضاءات ثقافية متشظّية ترفض الدوران الأعمى في دوائر الصراخ الثقافية الفارغة.

إنه النموذج المضاد للخطية والهرمية الذي يمثل في ماهيته احتمالًا آخر. يصف هذا النموذج معركة البقاء على قيد الحياة ضد آليات القانون والدولة التي تحاول إيقاف أو تقليص هذه الحركة. وهكذا يصبح الترحال استعارة لآلة سفر مؤقتة تُجبر حتماً على الاصطدام بآلة الاستقرار السلطوية الدائمة والمنظِّمة للقانون والدولة. وفقًا لهذا الوصف، تتضمن تجربة الترحال عند جبرا استخدام الاصطدام الثقافي المضمر كفعل تمرّد، بالأساس ضد الآلية القهرية لقانون الإنسان (الناموس)، القانون الرسمي، بحسب تعريف جيل دولوز. إن الاستقرار الظاهري الذي قد نراه في سيرة جبرا المعيشية تقابله في أدبه سيرة مشوشة وعصابية وقلقة، سيرة تستند إلى مفاهيم الحدية المتوثبة للتغيير الدائم وسيرة هامش يصارع على الدوام وسيرة منفى محفز على الانتهاك وسيرة لامكانية تتخطى الحدود المرسومة.

كان جبرا، برأيي، أحد أهم الشخصيات الأدبية والثقافية الفاعلة في تلك الحقبة، كان وسيطا حقيقيا لحقول معرفية مغايرة، لما ملكه من معرفة كافية لتيارات فكرية معاصرة، ساهم قسم منها في صياغة الأدب العربي الحديث والشعرية العربية الحديثة. وجبرا، وإذ كان يعرف أنه يواجه تيارات أدبية متجذرة بالأدب العربي لم يتوان عن الخروج بجرأة وإصرار ضد تحديد الأدب العربي ضمن مساحات تعبيرية ضيقة. مساحات مبنية على علاقات ثنائية وهرمية. كان جبرا إذن طرفا في زعزعة الهرمية المقدسة للثقافة العربية أو ما أسميه بـ «فرمانات التوازنات الثقافية» التي كانت بالحقيقة فرمانات التوازنات السياسية التي تفرض على السيرورة الثقافية العمل ضمن حلقات مصلحة الأنظمة الدكتاتورية العربية وأذرعها الدينية والأبوية.

مجمل المواضيع التي خاضها جبرا وطرحها في أدبه شكلا ومضمونا هو نوع من أنواع الانفلات والانتهاك لهذا الفرمانات القاسية؛ فالقلق وقصيدة النثر والقصيدة التشكيلية والبصرية والنقد الإيجابي الذي كان يهدف إلى غربلة من النوع القاسي والكتابة السردية المركّبة، كلها تخالف الطمأنينة التي طالبت بها الفرمانات. بالنسبة لجبرا كما أرى، لم يكن التوازن الثقافي إلا أداة

تشكيل لصالح الحاكم وحلفائه وليس لصالح إعادة تشكيل للعقلية العربية لتلائم تطورات العصر السريعة والقاسية على السواء. المشهد الثقافي الذي عبر جبرا عنه في كل أعماله كان مشهد التفكير الافتراقي أمام مشهد التفكير الاتفاقي في الثقافة العربية.

في مقالة نشرها جبرا إبراهيم جبرا في مجلة «الأديب» بعنوان «الحرية والطوفان»(١) بالعام 1958 حول أدب الالتزام يخرج ضد الدعوة التي كانت قائمة لتحديد الكاتب بقوانين (فرمانات) سياسية أو عقائدية قبلية. ويمكن لهذه المقالة أن تلخّص بشكل جوهري القواعد الأساسية التي تنبني عليها وجهة نظر جبرا للأدب والكتابة والفن عامة، ويمكن من خلالها إجمال الدور الهام الذي لعبه جبرا لإنتاج أدب عربي جديد يتخلى عن الشعارات الأيديولوجية الصارخة وينطلق إلى إنتاج أدب يُعنى بـ«الوجود العميق» أو بالشق الأهم في ضرورة الفعل الوجودي وهو لا ريب القلق، على حد تعبيره.

مقالة جبرا هذه تأتي في خضم فترة صراعات أيديولوجية وسياسية صاخبة للبلدان العربية عامة وتفتح النقاش حول تعريف دور الأدب ووظيفة الكتابة الأدبية وجدلية علاقة الأدب بالقضايا الجماهيرية و«التجنّد للقضية» الجمعية مقابل الحفاظ على فردانيته ورؤيته ورؤياه الخاصتيْن. هذا الموقف الحدي، في محاولة منه للانتقال من وضعية أدبية معينة (الالتزام)، والعبور إلى تعميق الوجود عن طريق أدب يعنى بالقلق، هو جوهر الدور الذي لعبه جبرا والذي قادته من العام 1957 مجلة «شعر» البيروتية، التي كان جبرا أحد رموزها النشطين. هذا الطرح الحدي هو طرح الهامش في مواجهة المركز، طرح إلغاء العلاقات الهرمية والثنائية التي طرحها التيار المركزي للأدب العربي في تلك الفترة، والتي ما زالت برأيي متفاعلة حتى يومنا هذا.

يكوّن القلق برأيي فاعلية مناقضة للثبات المزعوم الذي تسوّقه الأنظمة كجهاز للسيطرة في جميع المجالات، خصوصا في مرحلة تأسيس الدول، وتحديدا تلك التي تعتمد على الحكم الفردي والقمع. القلق الذي يدعو جبرا إليه يواجه عمليا الثبات واليقين المعرفي القاضي بتمثّل أنساق معرفية معروفة وقسرية تبتعد عن التساؤلات الكيانية المقدّسة لحرية الفرد، يقول جبرا: «غير أن الشق الأهم في ضرورة الفعل الوجودي هو ولا ريب القلق. إنه القلق الفردي عن ضرورة حرية الإنسان، عن ضرورة الاختيار لديه، وأخيرا عن سعيه المحتوم نحو الموت». القلق هو الدافع الأهم في عملية الخلق، وهو من هذه الناحية ردة فعل تكشف خبايا أبراج المراقبة التابعة للسلطة، بتعبير ميشيل فوكو.

تتقاطع فكرة القلق عند جبرا، كالشق الأهم في ضرورة الفعل الوجودي، مع مفاهيم الحدية التي يعيشها جبرا برأيي، وهي تعتمد بجوهرها على مفاهيم والترحال واللامكان والهامش والمنفى والمنطقة (zone)، كلها مفاهيم تمت ترجمتها في أدبه وفنه بشكل أو بآخر، وهي، مجتمعةً،

تشير إلى أديب متمرّد يخلق ليغيّر بمجانية وجزاف، إنها برأيي المفاهيم العامة التي تكون منها فكر جبرا في مجمل ما أنتج من أدب وفن تشكيلي ونقد. فالتركيز بالحدية على الحدود نفسها، وعلى وجود العتبة ذاتها. من هنا، تتعامل الحدية مع حالات التردد وعدم اليقين واللاحتمية. وقد قام عالم الأنثروبولوجيا فيكتور تيرنر بتوسيع المفهوم وتحويل الحدية إلى «منطقة حدية»، إنها تلك المساحة الوسيطة، الأرض الحرام أو الليمبو (مطهر)، إنه ليس المكان الذي أتينا منه ولكنه ليس المكان الذي نذهب إليه أيضًا. إلى حد ما، إنها منطقة الهامش (zone) المهيأة للقفز والحركة على الدوام، بتعبير النمساوية إلفريده يلينيك.

يتقاطع في سيرة جبرا الثقافية التي طرح فيها طقوسا ثقافية كانت في طور النزاع مفهوما المنفى والحدية. فقد أشار فان جينب في بحثه إلى الأهمية الأساسية للطقوس الانتقالية للمجتمع البشري، والوظيفة الثقافية والنفسية التي تؤديها، ووسع فيكتور تيرنر هذا الفهم إلى سياقات أوسع وشدد على أهمية الحالات الحدية التي تنتج التحولات الاجتماعية والروحية. على خلفية هذه التصورات، يمكننا وصف المنفى بأنه حالة حدودية، حالة حياة وسيطة حدية، بما لن يعود موجودًا ونحو ما لن يكون موجودًا بعد، فالمنفى حالة حدية، قد تتميّز بأنها مؤقتة وحالة عابرة، إلا أنها في الحقيقة حدية مستمرة بشكل خاص. المنفى، الذي وضعه جبرا بين الزمن القديم ووقت الخلاص المستقبلي، وبين المكان المقدس المفقود والمقدس المستقبلي الذي لم يأت، يختبره المنفيون، وجبرا منهم، على أنه عدم وجود، زمن لا زمن فيه، مكان لا مكان فيه. ولكن لهذا السبب بالتحديد، فإنه يشكل، كما تشكل حالات الحياة الحدية، إمكانية حدوث تحول جوهري، وهو ما برز عند جبرا في مساندته لمواضيع ومفاهيم ثقافية مختلفة ومركّبة، ودعمه لها دون هوادة، وهي ما زالت في مراحلها الجنينية.

على الرغم من استقرار جبرا المعيشي بالعراق إلا أنه ظل يراوح في أدبه في لامكانية مستفزة، روايته «السفينة» تمثل اللامكان العالق في نفوس شخصياتها. حتى أكثر شخصياتها تصميما وتفاؤلا يتموقع ضمن لامكانية مستقبلية: فاللامكان السفينة فضاء مجهول، خالٍ من الهوية وقابل للتكرار، ولا ينتج عنه وبين مكوناته علاقة مستقرة وفريدة. اللامكان موقع ليس له «ذاكرة» وتاريخ، ولا «قصة» ثابتة يرويها شاغلوها. يظهر اللامكان كموقع للرفاهية من جهة، ومواقع للألم والفقر والحرمان من جهة أخرى. والسفينة قد تكون مثالا على النوعين. إنها «أماكن عبور»، منفصلة عن السياق التاريخي والثقافي، ويمكن نقلها مع الحفاظ على مبناها الذاتي والمستقل. وإذا كان المكان عبارة عن فضاء محدّد بحدوده الداخلية والخارجية -مساحة تخلق إحساسًا بالانتماء والوطن- فاللامكان هو عكس ذلك. ومن أبرز عناصره المعيارية من جهة/ وإخفاء الهوية أو فلنقل تمويهها، من جهة أخرى.

في «السفينة» وفي «عالم بلا خرائط» تبرز المنطقة الـ (zone)، مصطلح إقليمي وأيديولوجي يشير إلى منطقة أو صوت أو دائرة نفوذ. يظهر المصطلح في سياقات مختلفة: في نظرية ما بعد البنيوية، يشير المصطلح إلى مساحة مهجورة وغير محددة؛ ضاحية جسدية أو عقلية يسكنها مجموعة من الحالات وأشكال الحياة والأشخاص والأشياء؛ استعارة جغرافية وسياسية وفلسفية ونفسية تتعامل مع عدم الانتظام والتخلي عن الحدود وطمسها. في نظرية ميخائيل باختين المتعددة الأصوات، يشير المصطلح إلى «منطقة الكلام»، صوت شخصية في الرواية. وفي كلتا الروايتين تتعدّد منطقة الكلام وتتشابك وتوحي بالوضوح وبشيء من الاستقرار، إلا أن منطقة كلامها تكشف عن مساحة محاصرة بين عالمين متميزين كما يقول كل من جورج باتاي وجيل دولوز؛ منطقة وسيطة على خط التماس بين الوجود والحذف، عن الحزام، وهو جزء من كرة تقع بين دوائر متوازية. إنها أرض حرام عاطفية، مناقضة لمفاهيم الهوية والمكان المستقرة.

في «السفينة» تظهر المنطقة الـ (zone) كمصطلح حديّ ترحالي، قريب من مصطلح الغبار: الغبار يغطي الأشياء ويمحو هويتها وتناثرها ويترك آثارًا لأشياء اختفت أو تمّ إخفاؤها. المنطقة شريك في الغبار رغبة في طمس الحدود بين الأشياء، أو محاولة لإعادة صياغة الشخصيات والأحداث بحيث توحي بعدم الاستقرار السلطوي، إنها استعارة تنكر المعرفة المشخصة والقدرة على إضفاء الطابع الرسمي من خلال الحدود والتعاريف.

يبني جبرا بهذا المعنى أدبه ضمن مصطلح الـ «منطقة» كتعبير عن مكان تركه سكانه. مكان وجودي يشير إلى التشويه والفساد والمغادرة وفقدان كائن / موضوع داخل الفضاء. إنه تعبير عن شكل خارج غير مشخص، مجهول الوجه، خارج متكسر ودائم. مكان يقدم دليلا على تفكك المبنى، وإزالة التباين بين المركز والمحيط، وخلق عالم هامشي لانهائي. بهذا المعنى، فإن المنطقة هي إحدى صياغات الهجنة، الوضع المختلط والحواف المحروقة.

الصمت من هذا المنطلق منطقة ولامكان حدي على الدوام، فهو استثناء لتعريفات سابقة وتمرد على سطحية التفكير، الصمت ترحالي بقوة لأنه منطقة مفتوحة التعبير، أبدية الحركة، عند جبرا وفي مقالته التي اقتبستها أعلاه، يأتي الصمت كفاعلية ضدية لركاكة التفكير أو للالتزام المفروض، يقول: «الصمت أيضا، الانزواء يسمح بالوصول إلى الوجود العميق... فالسبب في قصر عمر الالتزام كمذهب أدبي هو أنه يتوخى السياسة أكثر مما يتوخى الإنسان، ويستهدف المجموع المبهم أكثر مما يستهدف الفرد المحدد... فالالتزام إذن تبسيط لقضية الأدب، واجتزاء لها. لأن قضية الأدب -كما نرى من دراستنا للشعر والمسرحية والرواية منذ أقدم العصور- هي قضية، بكل ما فيه من تعقيد في السلوك والتفكير والشعور والبواعث والأهداف والعلاقات». هذا الصمت الذي جعله الشاعر اللبناني المتمرد أنسي الحاج رحلة الشعر الأبدية في محاولة منه

لتكوين لغة جديدة لإنسان عربي جديد.

إن رؤية فاعلية جبرا الثقافية القلقة من منظور الحدية واللامكان والمنطقة والترحال والهامش والمنفى تفضي إلى التصادم الخفي في سيرته مع مفاهيم «برج المراقبة». إن «برج المراقبة» ليس اختراعًا معماريًا فحسب، بل هو أيضًا رمز لآلية عامة للمعرفة التي تمارس قوتها أحادية الاتجاه على أولئك المسجونين بداخلها. بمعنى أوسع، هذه الممارسة هي جزء من نظام السلطة المتاح للحاكم، وهو ما يدركه من خلال السياسة الحيوية للثقافة. إن خطاب «برج المراقبة»، الذي يتحداه جبرا في كل نتاج ثقافيّ، يوجّه العلاقات الاجتماعية والسياسية في الثقافة. وهو يحافظ على علاقة التحكم والتسلسل الهرمي ويقمع أي نزعة للتغيير، وللتعدد، وحركة الترحال. يعمل مفهوم «برج المراقبة» ضمن فضاء هو عكس الفضاء غير المتجانس، حيث أن الأخير عبارة عن مجموعة غير متجانسة من عدة فضاءات، ليخلق هذا المزيج توترا بين الداخل والخارج، بين الواقعية والخيال، بين السيطرة والنقد. إن تكثيف التجربة الحدية في الحياة اليومية، وهي تجربة تتمثل في تعدد الحواجز والمعابر الحدودية، في «المداخل والمخارج» تجعل وجود مراقبة الشخص أمرًا مقبولًا وطبيعيًا. وهكذا أصبح «برج المراقبة» في تجسده الجديد حاضرًا دائمًا: «عين في السماء» تنتج العالم كمساحة خاضعة للإشراف وتعيد تعريف الأبعاد المجتمعية بحسب تعبير لاتور.

هنا بالذات أرى جوهر فاعلية جبرا الثقافية الحدية القلقة، تفكيك مفاهيم الرقابة الخارجية وتعريف الإنسان وفق هويات ونواميس إنسانية ثابتة، إن مفهوم برج المراقبة تنافى حتى العظم مع مفاهيم الحدية والقلق في سيرة جبرا، فهو ينفي عنه البيئات المغلقة التي تخضع للرقابة، بيئات ومواقع التأديب التي تتبنى منطق الإشراف وتستخدمه لتصميم تجربة حياة الفرد. وفقًا لجيل دولوز، بدلاً من الإشراف المباشر على مجتمع الطاعة (وهو مصطلح صاغه ميشيل فوكو)، والذي يتم تنفيذه من خلال حراس البوابة المختلفين، يتم تطوير نموذج جديد: مجتمع الرقابة، وهذا بالضبط ما سعى جبرا إبراهيم جبرا في فاعلية الثقافية المتنوعة إلى دحضه وتقويضه.

هامش

1 - هي بالأساس مقدمة لديوان الصمت والمطر لحليم بركات عن دار مجلة شعر، وقد نشر جبرا فيما بعد كتابا نقديا يحمل نفس العنوان ووضع المقال فيه أيضا.

دفاعًا عن الذّبابة

علي قادري

مضارب الغموض

الشّعرُ كما يروقُ لي تعريفه، هو مادّة الهمّ الّتي تستقرُّ على شكلٍ بذاتها ولذاتها، وقد يكون هذا المدخلُ خطيرًا لتعريف الشّعر، لأنّه يجعل من الشّعر عباءة فضفاضة تتّسعُ وترحبُ بالأجناسِ والأشكال، وبعد كلّ هذه القرون لا زلنا نسعى ونحاول جاهدين البحث عن فهم أصيل للشّعر، وخاصّة الشّعر الحديث بكلّ تصنيفاته من الإحيائيّة إلى القصيدة الحرّة فقصيدة النّثر وصولاً للنّصّ العابر للأجناس.

وتأتي مداخلتي في هذا الصّدد خاصّة لما أواجهه من أسئلة حول دور الشّعر الحديث ومكانته

وجمهور الشّعر المتلقّي في رفضه وعدم استحسانه باستخدام مسوّغات أساسها لصقُ تهمة الغموض والإبهام، وفي هذا المقام تحضرني جملة أبي تمّام الشّهيرة حين سئِلَ لماذا لا تقولُ ما نفهمه يا أبا تمّام، فأجابهم ببديهيّة الشّاعر المستشرف ولماذا لا تفهمون ما أقول. وإن كان قد مرّ على هذه الجملة أكثر من عشرة قرون، فهي لا زالت طازجةً لأيّامنا أيضا.

سألت الشّاعر الرّاحل الكبير سميح القاسم في لقاء يتيم لي معه "أيّ الأشكال أحبّ إليك وأقرب إلى ذوقك؟»، فأجاب باندفاع هوميروس، "إنّ الشّكل هو الأداة، أمّا جوهر الشّعر فيكمن في قوله المتجدّد المتجاوز لزمانه، وقد أقبل كلّ شكلٍ ما دام الشّعرُ قائمًا وموجودًا».

أقول ذلك محاولاً تفكيك تلك الادعاءات الرافضة للشّكل والمضمون الحديثيْن والبحث في أصول الرّفض ومنبته وسياقه العام، تلك الادعاءات التي ترى في الانزياح عن قول المفهوم والصّريح والصّادح ليس إلا ضربًا من ستر الشّعر بالمجاز وزجّه في مضارب الغموض. على أيّ حالٍ سأحاول أن أخفّف الوطء وأمارس فعل التّفكيك لهذه الادّعاءات التي تطال، بالمناسبة، المنجز الشّعري لشعراء الحداثة العربيّة في السّبعين سنة الأخيرة.

إنّ الاتكاء على المألوف والمأنوس من صريح القول والعبارة في التّراث القديم، نظنّه أنّه كان مأنوسًا لعصره، وهذا اعتقاد مغلوط، فلو أخذنا مثلا تجربة الشّاعر العروبيّ أحمد بن الحسين المعروف (بأبي الطّيّب المتنبّي) معتقدين أنّ المتنبّي في زمانه كان شاعرًا «مفهومًا» كما يحلو لنا تصنيف الشّعر والشّاعر، فنحن واهمون في ذلك، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّه من القرن التاسع الميلادي فصاعدًا دخل مفهوم «الصّنعة" على الشّعر، وانتقل الشّعرُ برمّته إلى مستوًى جديدٍ في نظمه وقرضه لكلّ المشتغلين به، وأقول المشتغلين، لأنّ الشّعر أساسه الاشتغال، والاشتغالُ هو النّسق الملائم للدراسة والبحث وامتلاك الأدوات والمعرفة، ويسأل السّؤال، وهل يكون الشّعر شغلاً وعملا وصنعة وحرفة كباقي الحرف؟ والجواب هو نعم، وإلاّ لكان كلّ ناطقٍ بالعربيّة شاعرًا ومشروع شاعر وسمّوه كما يحلو لكم.

إنّ الموهبة، كما نطلق هذا التّوصيف ارتباطًا بكلّ فضاء إبداعيّ، لا تكفي ولن تكفي صاحبها إلاّ لزادٍ قليل في رحلةٍ عريضة المجاهل طويلة الارتحال، فماذا تعني الموهبة الشّعريّة؟ لا شيء إن لم تتغذّ وتأكل وتشرب من اللغة والأدب والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة والفلسفة والأركيولوجيا ودرس الحضارات والآداب العالمية، والفنون على أنواعها. تقولون تبالغ، فهل يحتاج الشّعر إلى كلّ هذه المجالات والحقول، أقول وأكثر من ذلك. فهنا تتجلّى آفاق هذه الموهبة، إن صحّ التّعبير، آفاق الموهبة، كما هي آفاق النّصّ والمعمول به كي يعيش ويؤبّدَ، وإلاّ فكيف يمكن أن تتحقّق جملة القاسم، في أنّ الشّكل هو الأداة والجوهر هو القول الذي يتجاوز زمانه وحدوده؟

غموض أدونيس و «الصّنعة"

لعلّي أستشيط غضبًا، أحمل وأتحامل على جماهير الشّعر، ولكن سامحوني، أوليسَ من الظّلم والتّعسّفِ أن نصنّفَ الشّعر في أيّامنا أنّه ذلك القول الجميل الذي يقع على وزنٍ وقالب، وإن لم يفعل فعلته في ترنّحنا ويقرع أجراس آذاننا في قوافيه فهو ليس شعرًا! لقد أفنى الشّاعر والمفكّر أدونيس (علي أحمد سعيد إسبر) حياته كلّها في محاولة تعريف الشّعر، ويقول: «فإنّ من يحارب هذا الشّعر باسم الغموض يحارب الأعماق من أجل أن يبقى على السّطح، ويحارب البحر من أجل أن يبقى في السّاقية، ويحارب الغابة والرّعد والمطر، من اجل أن يبقى في الصّحراء. تصوّروا الإنسان أو العالم واضحًا: لن يكون آنذاك أكثر من تسطّح هائل، ولن يكون فيهما مكان للشّعر» (زمن الشّعر، أدونيس، 1996 ص19).

إنّ معظم المنجز الشّعريّ عند أدونيس يقوم على قاعدة (الميتا شعر)، أيّ أنّه كتب في شعره عن الشّعر أكثر مما كتب عن أيّ شيء آخر، ولكن كم من القرّاء والمثقّفين العرب قرأوا أدونيس وتناولوه على محمل الجدّ والعناء، أقول العناء كي أؤسّس منظوري لقراءة الشّعر وتناوله بقديمه وحديثه. وإذا ذهبت أبعد من ذلك مستحضرًا بعض النظريّات الأدبيّة، واتبّعنا مثلا مبدأ موت المؤلّف لرولان بارت، فإنّني أرى بمبدأ العناء خبز وملح القارئ في تناول كلّ نصّ أدبيّ. وإلاّ فكيف ينتقل القارئ من عنصر خامل إلى نشِطٍ في تفاعله وتجاذبه مع النّصّ الأدبيّ ومع الشّعر والقصيدة على وجه التّحديد؟

عودةً إلى «الصّنعة" وإلى المتنبّي، ألم نقرأ في كتب الأوّلين كيف عاش الشّعر والشّاعر قريبًا من بلاط الملك والأمير؟ ألم نسمع عن الشّعراء المغمورين من الجاهليّة إلى نهاية العصر العباسيّ؟ أولم يكن الشّعر حصان عنترة وحلمه في التّحرّر من عبوديّته؟ أو لم يكرّ ويفرّ امرؤ القيس في أحياء العرب صعلوكًا ماجنًا بعد ان ضيّعه والده صغيرا وحمّله دمه كبيرًا؟ انتبهوا إذًا إلى البيئة الحاضنة للشّعر والشاعر، إنّ بيئته الطبيعيّة على امتداد العصور كانت التفرّد والاختلاف والانزياح، وقد نشأ الشّعر بادئ الأمر في البادية من أثر فعل التأمّل في المأزق الإنسانيّ الملوّح للإنسان في نصب عداء الدّهر له، ولكنّه سرعان ما دخل إلى قلوب الأمراء والملوك، وقد تقدّم الشّاعر في مرحلة مُبكرة إلى واجهة القبيلة كي يكون لسان حالها في الحرب والسّلم، في المدح والهجاء وغيرها. وإذا قفزنا إلى قصر عليّ بن أبي الهيجاء (سيف الدّولة الحمدانيّ) وسمعنا أخبار النّحاة واللّغويين والمشتغلين باللغة والادب في مجلسه، لوجدنا أهل الاختصاص والعلماء يقضون مضاجع اللغة ويفكّكونها، وتلك حالة عكست دور النّخبِ والخاصّة وانحسار الشّعر في تلك المواضع، حتّى ساد الرأيُ أنّ الشّعر يُعنى عند الخاصّة فقط. وأنا لا انحازُ إلى هذا الرأي بقدر ما أومن بأنّ الشّاعر، كلّ شاعر، يخلق قارئه ويمدّه بحبل الوصل الرّفيع المطاطيّ الذي

لا ينقطع.

ليس الشّعرُ استعلائيًا وطبقيًّا، ولكنّ له سلطانه الذي يعيد تشكيل وترسيم هموم الإنسان في كلّ عصرٍ، ويتعاطى بجدليّة العطاء والتّلقّي، وبالحفر المزمن في البواطن والظّواهر. وليس الشّعر يعيشُ مع شياطين أو عفاريت أو خرافات، ولكنّه مادّة الواقع والهمّ الإنسانيّ، وشكله هو امتحان الرّاهن والإبداع المتراكم على مدى العصور والحقب والتجربة الإنسانيّة.

القارئ «السّوبر» / الفائق

عرّجتُ وطوّفتُ وحاولت أن أمهّد ما استطعت، ولكن من جملة الحديث، أنّ فهم الشّعر الحديث يتطلبُ بالفعل إلى "القارئ السّوبر / الفائق"، وهذا لا يعيبه في شيء، على العكس تماما، فإنّه يدعو القرّاء مجدّدا إلى التّهافت على القراءة والثقافة، وإلى ترسيخ دعائم الاستقبال والتلقّي بمعرفة متّسعة ونقديّة واستشرافيّة وشغوفة، وإن كنّا نلحظ اليوم مساحة مقدّرة للشّعر والشّعراء الشّباب في المنصّات الافتراضية، واستطعنا من خلالها الكشف والانكشاف ورفع حالة الحصار الثقافيّ الذي قبعنا تحت نيره سنوات طويلة بانقطاعنا عن أهمّ المنجزات الثقافيّة والأدبيّة وأهم ما يُنشر في الوطن العربيّ، وأقول أنّني استطعت في السّنوات الأخيرة الانكشاف على أصواتٍ شعريّة لشعراء وشاعرات يبشّرون بطاقات زخمة، وبآفاق إبداعيّة خالية من المساحيق والرّتوش، من أشقائنا العرب، وقد استطاع الشّعر أن يظهر من خلال تلك الوسائط الافتراضيّة والمنصّات مظهر العائد إلى امتلاك ذاته وثقته بنفسه، ولا بدّ برأيي من توظيف تلك المنصّات لمناهضة الإسفاف والتّسفيه وتشويه الذّوق العام، وذلك ممكن.

لو عدنا إلى جوهر الحديث حول الشّعر وتنازله عن القيود الشّكليّة، وسعيه إلى فتح آفاق جديدة لوجدنا أنّ النّمط السّائد اليوم هو ما يُعرف «بقصيدة النّثر»، وقد نجد شعرًا قد تجاوز قصيدة النّثر التي وصلتنا من الشّاعر السّوريّ الكبير محمد الماغوط ومن بعده عبد القادر الجنابيّ ورياض الصّالح الحسين وآخرين، والجيل الذي جاء لاحقًا كقاسم حدّاد وعبّاس بيضون وسعدي يوسف ونوريّ الجرّاح والقائمة طويلة، وبعض الأصوات الشّعريّة الشبابيّة اليوم قد تجاوزت قصيدة النّثر إلى قصيدة عابرة للأجناس، فنرى فيها أدوات السّرد والمسرحة والنّصوص المفتوحة والكثير من التأثيرات الأدبية العالمية والغربيّة.

ولست هنا في موضع الحكم والتّقييم، ولكنّي أجد نفسي أقف مدافعًا عن حقّ الحركة الشّعريّة الحديثة في التّعبير عن نفسها وعن حقّها في الوجود. فإذا كان شعر المقاومة في ستّينيات وسبعينيّات القرن الماضي قد تجاوز واقعه الخطابيّ المباشر ونبرته العالية وبنيويته الأيديولوجيّة لينقل للعالم صوت المعذّبين القابضين على الجمر في وطنهم، فإنّ ما تفعله الحركة الشّعريّة

اليوم هو عمل استثنائيّ ومحسوب، لأنها تميط اللثام عن حالة الرّياء الثقافيّ الذي يصارع تطوّر الحداثة الشّعرية بمعزل عن الحداثة الفكريّة والمجتمعيّة والسياسيّة والأخلاقيّة والجندريّة إلخ، فهذه الحركة هي حركة هدم في كينونتها، والهدم هو شرط البناء كما أفهمه، الهدم الشّكلي يرافقه هدم مضمونيّ متعمّد، ولا بدّ من هذه الجدليّة التي تفسّخ اللغة وتُقحم الذائقة الجمالية ليس للشّكل فحسب بل للمضمون الذي قد يقف عاجزًا من التّعبير أحيانًا عن أبسط حقوق الإنسان في الكرامة والحريّة والعدالة.

السّياسة في فضاءات الشّعر

فماذا نقول وقد بلغنا أسفل درك على مستوى الموقف السياسيّ العربيّ، باستحضار المستعمر من جديد، ودعوته صراحة وعلانيّة، وبوقاحة وفجاجة لم نعهد مثيلا لها من قبل ، ولا زلنا ندافع عن أنظمة سياسية أهلكت شعوبها باسم الحريّة والاشتراكيّة والعدالة، وباسم فلسطين وباسم العروبة وقيسوا على ذلك، وعلى الشّقّ الآخر أنظمة خانعة خاضعة مستسلمة تلهث وراء التّطبيع وتحريك عجلة الإنتاج والاقتصاد البترولي، وماذا نقول في التقارير التي تصدر سنويّا عن معدلات القراءة عند العرب، وكيف لا نخجل من انفسنا مؤسّسات وحكومات وأنظمة وأحزابًا، وكيف لا نعترف أنّ كلّ حداثةٍ وكلّ ثورة حقيقيّة لا يمكن لها الحياة إلا بأن تعقد العزم على تغيير المنظومات الفكرية والاجتماعية السائدة، وليس بعد، نحن محترفون في تأجيل الصراعات التي تحتاج إلى حسم، ونحن الثّوريّين اكثر الأشخاص الذين نراوح، نراوح بادّعاء المحافظة على الوضع القائم، وبادعاء أنّه ليس هناك بديل، كما كنّا ولا زلنا نسمع من اناسٍ عاشوا حياتهم يدافعون عن حريّة الشّعوب وحقّهم بالتّحرّر من نير الاستعمار ووقفوا في الصّفوف الاماميّة يهاجمون المارد العربيّ المنتفض على الذّلّ والاستبداد وتحالف السياسة مع المال وسيطرة المركز وإخضاع الهامش المسحوق، في مطلع العقد الاخير.

الشّعر عمومًا والشّعر الحديث على وجه الخصوص يتنفّس هواء مغايرًا، ويعيش في مطارح أخرى، ويبحث عن "الإكستريم"، ويذهب إلى أقصى حدود الشّكل، يمطّ اللغّة، ويمدّ التعابير وينحت من صورة الواقع طفلاً يبول على العالم، ويُطلع من بين الأنقاض والرّكام امرأة تبتر ثديها النّاشف تتهمّكم وتتهمّنا جميعًا، نحن من بعناها حرّيّة وعدالة واشتراكية وما فتئنا نخاف خدش الحياء.

إنّ قراءة الشّعر يا قارئي العزيز تحتاج إلى قلبٍ يتهادى على سجيّته بفطرته البكر، وإلى أظافر تمزّق بها جسد القصيدة، وإلى داليةٍ تعصرُ منها نبيذه، يحتاج الشّعر إلى أن تعيد إغواءه فيغويك، إلى أن تضاجعه. والقراءة هي فعل تأثيث، وفي التأثيث يكون التّليينُ ثمّ الإغواء، ويكون الهدم ثمّ البناء، ويكون نسف الدلالات المعهودة والقبليّة والإتيان بعقل رحب وبقلب يعنّ، والعناء العناء،

مدخل اللّذة، وأفق الشّهوة العابرة لذاتها، وإلاّ فكيف يتّسع الشّعر في أيّامنا إلى كلّ هذا البلاء والعفن والقيح ورائحة الجثث والبلاد التي تهدّمت على رؤوس أهلها. فعن ماذا نبحث بالضّبط؟

ثمّ إنّ الشّعر اليوم قادر على الحياة كما هو شعر الأوّلين لا زال قادرا على الحياة، لأنّه الشّعر، لأنّه القول النّفيس الخالص الذي علّق تميمة اللغة على تاج الإبداع الذي يتجاوز زمنه وحدوده، ولأنّه يحمل همّ ومأزق الإنسان على كتفيه، فما يبقى منه إلا النّافع المختمر، وأما الزّبد فيذهب جفاء. إنّ عرضي لمنظور العناء و»القارئ السّوبر/ الفائق" هو محاولة إلى تحريك العجلة من جديد، عجلة الثقافة والنّشر والقراءة، وإلى تجديد البيعة للثقافة، ففي جدليّة الأدب والسياسة، نرى تفوّقًا نجوميًا للسياسة والسياسيين على المثقّفين، فنحن لسنا في صراع مقامات، بقدر ما نحن بحاجة إلى تمكين أوتاد الخيمة القائمة على ما يعوّل عليه، وهو السياسة المقرونة بالأخلاق والثقافة المنتشية بالنّقد الحرّ اللاذع الذي قد يمقت سلوكًا لكنّه يظلّ حريصا ومخلصًا للفكرة وفضاءاتها. فكلّ سياسة وكلّ حركة تحرّر في العالم كانت تستند على حركتها الثقافيّة، بشعرائها وأدبائها ومثقّفيها، ولا بدّ للسياسة بأن تتنفّسَ من رئتيْن اثنتين، رئة الثقافة ورئة العدالة، وإلا فستتحوّل إلى حالة شعبويّة مارقة ووضيعة في تاريخ كلّ حركة تحرّر.

إنّ الشّعر هو مرآة الواقع والمجتمع والنّاس، وما ذات الشّاعر إلا التّشظّي الحقيقيّ لتلك المادة، وفي تعبيراته المشوقة وعلى جذعه تعيش الأعشاب الضارة كذلك، والضّار اليوم هو شرطُ النّافع، فكيف لا يدحر الضّدّ ضدّه، وما علينا إلا أن نمكّن الشّعر منّا كي نتمكّن منه، وحين نتمكّن منه ستنفتح ذائقتنا على مزيد من الجمال والقبح، الهتك والفتك والفضح والانكشاف، والشّعر اليوم لا يحمل لنا البشارة بقدر ما يمكن أن نحمّله هلاك المدن والهولكوست الحديث.

إنّ الشّعر في أيّامنا ذبابةٌ، نضيقُ ذرعًا بها، وتبقى طنّانة إلى أن ترفع رايتك البيضاء في وجهها، فتذهب بك مذهب التّشويش والتنقيب والفحص، وبهذا ولهذا، يكون الشّعر مدخلك إلى تأويل ذاتك أولا والانتقال منها إلى السّطح، والعودة من السّطح إلى الأعماق، وهكذا إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

الوشم

سميرة خلايلة

رآها من بعيد، فتساءل بينه وبين نفسه: أيمكن أن تكون هي؟ كلا! لقد سافرت مع أهلها إلى فرنسا وتزوّجت هناك.

نظر إليها مرة أخرى متحقّقا. نعم لا يمكن أن تكون شبيهتها. لا شكّ أنها هي، حتى وإن تلفعّت بالحجاب، لن أخطئ في تفاصيلها وخاصّة تلك الشامة التي تزيّن أعلى شفتها. كثيرا ما ألقتْ على مسامعي أنها تودّ إجراء عملية لإزالة تلك الشّامة الكبيرة، وكنت دائما أردّد على مسامعها أنّ تلك الشامة عمرها من سنيّ عمرك، تزيدك جمالا وتجعل شفتاك أشهى من العنّاب وأجمل من زهر

الرمان، فتضحك بعد أن تعضّ شفتها بأسنانها فأتحوّل إلى عاشق متيّم وأردّد لها بيت الشعر الوحيد الذي أحفظه:

«عضّت على العُنّاب بالبرَد»

_فتصدح ضحكتها عاليا ثم تقول حسنا يا مجنون ليلى

_فأرفع قامتي عاليا كمن يفقه بأمور الشّعر والشّعراء وأقول لها إنّه يزيد بن معاوية.

_أيًّا يكن، سأُبقي على شامتي شريطة أن تحفر اسمي وشماً على صدرك.

_ إنه موشوم داخل سويداء قلبي.

_ هذا شرطي للإبقاء على شامتي، وشمك مقابل شامتي، لم أتردد حينها وقبلت شرطها صاغرا ووشمت اسمها على صدري وما زال.

لكن كيف أستطيع أن أحادثها. لا بدّ من حيلة أقترب فيها منها، اقتربت منها خلسة وناديتها، التفتت يمنة ويسرة وهمست ابتعد عن طريقي.

وقفت مشدوها للحظات، لم أتراجع ولم أتوان، سنوات الحرب اللئيمة وفقدان أعز ما أملك من عائلة وحبيبة وبيت علّمني الكثير من الحزم وسرعة التّصرّف، بادرتها بالسؤال لماذا عدتِ، مع أنّ المعظم يتمنّى الفرار من لهيب الحرب، لكن جميل أنك عدت أخيرا ..

انهمرت دموعها حرّى وقالت وهل يعود الأموات للحياة مرة أخرى؟ أنا احيا على الهامش، سرقوا منّي كلّ ما هو جميل، احلامي، ضحكتي، روحي، جسدي وابني !!!

لقد هر بت عائلتي إلى فرنسا من الحرب الضروس، وحتى نتمكن من تسريع اجراءات الإقامة قام اهلي بتزويجي لشخص فرنسي من أصول مغربيّة، عشت معه سنوات من المعاناة، نهشتنني ساعات القهر والوجع، وتحمّلت كلّ هذه الأرزاء لأجل عائلتي وابني، وبعد أن طلبت الطلاق منه، سرق ابني منّي وأتى للقتال مع الإرهابيّين، وها أنا هنا في محاولة يائسة لاسترداد ابني من أنياب ذلك الوحش.

_ أذكر ذلك اليوم، بعد مغادرتكِ بفترة وجيزة، ليلة محالٌ أن أنساها، كان ليلها حارا وقمرها بلوريا، كنت جالساً على شرفة المنزل أراجع بعضا من أوراقي المتناثرة، حين خلد افراد عائلتي الى النوم وفي الغرفة المجاورة أسمع مشاجرة مؤلمة بين أخي وزوجته التي تلحّ على الخروج من جحيم هذه الحياة، وهو يرفض ذلك بشدة، انقطع الصوت فجأة حين باغتنا ذلك الانفجار الهائل، الذي مزّق سكون ليل صيف تموز، إذ كنّا نستعد لحفل زفاف أختي شام، كان المشهد مفجعاً كئيباً، اهتزت أركان البيت وبات كومة واحدة من التراب، تكثّفت سحب الدخان، وألسنة

الغبار حجبت الرؤية، كان الهواء مشبعا برائحة الدم، اشلاء الجثث تتطاير في كل مكان في الحي، كلّ شيء يتأوّه، يصرخ، لقد قتلوا جميع افراد عائلتي بقذيفة صاروخية، احتميت بما تبقى من ركام المنزل، أعولت اظفاري بالبحث تحت الأنقاض حتى اقتحم الصباح الحيّ، وتنادى الجيران والطوارئ لإنقاذ ما تبقى من حياة لنا، نزفتُ كثيراً لكنّ الله أراد لي الحياة حتى أتمكّن من الاعتناء بيامن ابن اخي ابن السبع سنوات، بعد ان قطعت رجله في ذلك الحادث المشؤوم، لهذا تركت كلية الاقتصاد والتحقت بالجيش لأسترد تلك الحياة التي سُلبت مني ومن أقراني وشعبي.

لقد فشلت في حمايتك سابقا ولن أكرّرها، يكفينا ما فعلته بنا سنوات الحرب اللئيمة

لقد أنهكتنا ، قتلتْ أجمل ذكرياتنا وأمانينا، سرقتْ منا أجمل ما فينا، بَتَرَتْ أحلامنا، وركنتها على كرسيّ متنقّل، الشهادات العليا عَلِقت في مفترق الطريق، والزّمن لبس عباءة الكسل وتوقّف عن الجري، لهذا كلّه لن أدعك تخوضين هذه المعركة وحدكِ، فأنا الآن أتمتّع بمنصب أستطيع فيه مساعدتك في استرداد ابنك، تعالي لنجمع مآسينا وننهض من تحت الدمار.

صمتت هنيهة كمن يستعيد أنفاسه بعد موجة احتضار، رقّ قلبها من جديد، وأجهشت بالبكاء، فأعقبها ببيت الشعر الذي ما زال يحفظه رغم ازدحام الألم وسقوط العديد من أقلام التقويم والأدب والشّعر في بؤس الإغراءات وجلبة الانتكاسات.

أمطرتْ لؤلؤًا من نرجسٍ وسقتْ
وردًا وعضّت على العُنّاب بالبرَد

ابتسمتْ وسألته هل ما زلت تحتفظ بالوشم على صدرك؟

_ كما وعدتك تماما، إنّه وشم الحياة وللتوّ استرجعته من براثن الوحوش، وأعدك أنّني ورفاق دربي سندمغ خارطة الوطن وشمًا في قلب كل شريف ومخلص.

المنفى والاغتراب في قصيدة «أضاعوني» للشاعر عزّ الدين المناصرة[1]

د. روز اليوسف شعبان

سأتعرض في هذه العجالة لقراءة في قصيدة «أضاعوني» للشاعر

1. بروفيسور عز الدين المناصرة (11أبريل- 1946م)، شاعر وناقد ومفكر وأكاديمي فلسطيني من مواليد بلدة بني نعيم في محافظة الخليل-فلسطين. حائز على عدة جوائز كأديب وكأكاديمي. وهو من شعراء المقاومة الفلسطينية منذ اواخر الستينيات حيث اقترن اسمه بالمقاومة المسلحة والثقافية وبشعراء مثل محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد، أوكما يطلق عليهم مجتمعين «الأربعة الكبار في الشعر الفلسطيني». حيث غنى قصائده مارسيل خليفة وغيره واشتهرت قصيدتيه «جفرا» و«بالاخضر كفناه». ساهم في تطور الشعر العربي الحديث وتطوير منهجيات النقد الثقافي. وصفه إحسان عباس كأحد رواد الحركة الشعرية الحديثة تنقل المناصرة بين عدة بلدان قبل أن تحط به الرحال في الجزائر عام 1983، حيث عمل كأستاذ للأدب في جامعة قسنطينة ثم جامعة تلمسان. انتقل في مطلع التسعينيات إلى الأردن حيث أسس قسم اللغة العربية في جامعة القدس المفتوحة (قبل أن ينتقل مقرها إلى فلسطين) وبعدها صار مديرا لكلية العلوم التربوية التابعة لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) وجامعة فيلادلفيا حيث حصل على رتبة الأستاذية (بروفيسور) عام 2005.. حصل على عدة جوائز في الأدب من ضمنها: جائزة الدولة الأردنية التقديرية في حقل الشعر عام 1995، وجائزة القدس عام 2011. انظر: ويكبيديا، الموسوعة الحرّة..

عز الدين المناصرة، بهدف الوقوف على الاغتراب المكاني فيها، إضافة إلى الوقوف على مظاهر المنفى والاغتراب التي بدت جليّةً في اللغة والأسلوب، وقد ارتأيت بداية أن أعرّف مصطلحيّ المنفى والاغتراب.

تعريف المنفى

استخدم العرب والمسلمون الأوّلون لفظة «هجرة» بمعنى المغادرة أو ترك المكان الأصليّ إلى مكان آخر، إمّا عقوبةً أو لأسباب أخرى، مثل: الجهاد في سبيل الله، والبحث عن مكان أفضل للعيش. ولمّا أرادوا استخدام «الهجرة» بمعنى المنفى قرنوها بعبارات، مثل: الخروج عنوةً أو ظلمًا، وبهذه المعاني وردت لفظة «هجرة» في القرآن الكريم اثنين وثلاثين مرّة.2

يرى سعيد(2000) أنّ المنفى حالة دائمة من الغربة والابتعاد والإقامة في الهامش، هو هجرة مستمرّة لا يمكن عكسها، ومن ثمّ هو صيغة من صيغ الوجود، تولّد شعورًا متواصلًا بالانشقاق عن السياق والحنين الدائم إلى ماضٍ وأرض وثقافة لم تعد كلّها موجودة في المنفى فهو الصدع الذي يصعب شفاؤه ويفصل بصورة قسريّة بين المرء ومسقط رأسه؛ بين الذات وبيتها الحقيقيّ: إنّ الحزن الجوهريّ الذي يولّده لا يمكن التغلّب عليه.[3]

تعريف الاغتراب[4]

إنّ الأصل اللاتينيّ للفظة «اغتراب» هو "Alienation"، وهذا الاسم يستمدّ معناه من الفعل اللاتينيّ "Alienare"، بمعنى نقل شيء ما إلى آخر، أو الانتزاع والإزالة، وهذا الفعل مستمَدّ، بدوره، من لفظة أخرى هي "Alienus"؛ أي ينتمي إلى شخص آخر أو يتعلّق به، وهذا الفعل الأخير مستمدّ، في النهاية، من اللفظة "Alius" التي تدلّ على الآخر، سواء اسمًا كان أم صفة.5 وهو، بهذا المعنى، يشير إلى انتقال ملكيّة شيء ما من شخص إلى آخر، وخلال عمليّة الانتقال تلك يصبح الشيء مغتربًا عن مالكه الأوّل، ويدخل في حيازة المالك الجديد. لقد ظهر استخدام هذا المصطلح، الاغتراب، لدى ماركس الذي جعل من العمل وتقسيمه وشروطه وملكيّته ووسائل انتاجه أبرز العوامل المسؤولة عن خلق ظاهرة الاغتراب.[6]

---

2. الشامي، 1986، ص. 211.

3. Said, 2000, p. 173.

4. حظي مصطلح «الاغتراب» بنصيب وافر لدى بعضٍ من الأدباء، من بينهم: محمّد العدنانيّ، في مؤلَّفه **معجم الأخطاء الشائعة** (1983)، حيث يكشف مصطلح «الاغتراب»، في ذاته، معانيَ البعد والنفي: «يقولون: تغرّب فلان عن وطنه والصواب تغرّب فلان أو: اغترب فلان، لأنّ معنى الفعلين (تغرّب) و(اغترب) هو نزح عن بلاده أو وطنه». ص 186.

5. شاخت، 1980، ص. 62-63.

6. شتا، 1993، ص. 23.

ويرى البروفيسور قيس النوري، عالم في الانثروبولوجيا، استخدامًا آخر لمصطلح «الاغتراب» يأتي في سياق العزلة (Isolation)، وهو أكثر ما يُستخدم في وصف وتحليل دور المثقّف أو المفكّر الذي يغلب عليه الشعور بالانفصال (Detachment) وعدم الاندماج النفسانيّ والفكريّ مع المقاييس الشعبيّة في المجتمع.

مفهوم الاغتراب في العصر الحديث

معنى الاغتراب في العصر الحديث لا يختلف عن معناه في العصور القديمة؛ إذ يشير الشقيرات إلى أنّ مفهوم الاغتراب حديثًا يحتوي على عدّة مضامين منها: 7

الاغتراب بمعنى الانفصال: يبرز هذا المضمون في كتابات هيجل تبعًا لمفهومه للكَوْن بأنّه مكوَّن من أجزاء منفصلة ومتناقضة ومتفاعلة، وهي متكاملة في الوقت نفسه؛

الاغتراب بمعنى الانتقال: ورد هذا المضمون في البحوث التاريخيّة الإنجليزيّة، حيث كان يُقصد به نَبْذ حقوق الملكيّة المتعلّقة بأحد الأفراد، أو مصادرتها، أو نقلها من ذلك الفرد إلى شخص آخر؛

الاغتراب بمعنى الموضوعيّة: يُقصد به نظرة الفرد إلى الآخرين بوصفهم شيئًا مستقلًّا عن نفسه، بصرف النظر عن طبيعة العلاقات التي تربطه معهم. الشقيرات يعُدُّ هذه النظرة واحدًا من أهمّ مؤثّرات الاغتراب. وتشير البحوث المُجراة على هذا النمط من الاغتراب إلى أنّ هذه الوضعيّة غالبًا ما تكون مصحوبة بالشعور بالوحدة والعزلة، بدلًا من التوتّر والإحباط؛

انعدام القدرة والسلطة: برز هذا المضمون في نظرة ماركس لمفهوم «الاغتراب»، وقد لوحظ أنّ معنى «العجز» (Powerlessness) وعدم القدرة أو الاستطاعة هو أكثر المعاني تكرارًا في البحوث المعنيّة بموضوع الاغتراب؛

انعدام المغزى: يعني ضياع المغزى عند الفرد؛ إذ يتطلّع الفرد إلى تحقيق غاية ملموسة؛

تلاشي المعايير: يُقصد بهذا التلاشي أنّ المجتمع الذي بلغ هذه المرحلة يفتقر إلى المعايير الاجتماعيّة المطلوبة لضبط سلوك الأفراد، أو أنّ معاييره التي كانت تتمتّع باحترام أعضائه لم تعُد تستأثر بذلك الاهتمام والاحترام، الأمر الذي يفقدها السيطرة على السلوك؛

العزلة: أكثر ما يُستخدم هذا المصطلح ضمن مفهوم «الاغتراب» في وصف وتحليل دور المفكّر أو المثقّف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرّد وعدم الاندماج النفسانيّ والفكريّ مع المقاييس الشعبيّة في المجتمع؛

الاغتراب عن الذات: هذا يعني أنّ الفرد يشعر بانفصاله عن ذاته. ويوجّه هذا المعنى الأفراد في ظروف المدينة؛ لأنّهم يصبحون أدوات، بعضُهم لبعضِهم، وتتّسع الدائرة حتّى يصبح الفرد

7. الشقيرات، 1987، ص. 13-14.

مؤسسات بيت عدنان

لصاحبها :عدنان عطاالله

مؤسسة بيت عدنان

أطر تربوية, علاجية, وداخلية لأشخاص ذوي احتياجات الخاصة

منذ1982 خبرة30 عام نعطيها بمهنية, محبه وعطاء

داخلية لذوي الاحتياجات الخاصة
بأشراف وزارة الرفاه
بيت البنات المستقلات
الصحة
نقاهة
خدمات طبية
خدمات علاجية- تأهيلية
خدمات نفسية-اجتماعية

بيت عدنان: 04- 9568600/1/2
نئيل عطاالله- مدير الاطر التعليمية: 050-5703940
نبيل عطاالله- مدير الاطر التربوية: 050-7552129

ת.ד 24 ירכא מ. 24967, טל: 04-9568601, 04-9568600, פקס: 04-9967145

الحضريّ منفصلًا عن نفسه. هناك معنى آخر للاغتراب عن الذات، هو افتقاد الفرد عمله الذي يقوم به وما يصاحب ذلك العمل من الشعور بالرضا والزهوّ، ممّا يخلق لدى الفرد اغترابًا وانفصالًا عن ذاته.

المنفى والاغتراب في القصيدة

كان لظاهرة الاغتراب في الأدب العربيّ حضورها الواضح، فقد عانى الأدباء والشعراء، في أقطار الوطن العربيّ كافّةً، من عدّة أنواع من الاغتراب، بينها: السياسيّ، الفكريّ، الثقافيّ، الاجتماعيّ، النفسانيّ، المكانيّ، الاقتصاديّ وغير ذلك. وقد كان للتغييرات السياسيّة، الاجتماعيّة، الأخلاقيّة والفكريّة في الوطن العربيّ تأثير واضح في الأدباء، إذ عكست تجربتهم ألوانًا من الصراعات النفسانيّة والفكريّة، وعمّقت بُعدهم عن واقعهم وعمّا تجيش به صدورهم من مشاعر وأفكار تعكس مدى غربتهم ومعاناتهم.

1: الاغتراب المكاني:

يتعلّق الاغتراب المكانيّ بمغادرة الإنسان وطنه طوعًا أو كرهًا، ويكون، في الغالب، نتيجة أسباب سياسيّة أو اقتصاديّة أو ثقافيّة، فيعاني المغترب من لوعة الحنين إلى وطنه.8

تبرز الغربة المكانية في قصيدة» أضاعوني «حين يشير الشاعر إلى المدن السفيهة التي يسكنها فيقول:

«يا هذه المدن السفيهة، إنني الولد السفيه

لو كنت أعرف أن نارك دون زيت

لو كنت أعرف أنّ مجدكِ من زجاج،

ما أتيت

أنت التي خلّيتني قمرًا طريدًا دون بيت»

وفي موقع آخر في القصيدة تتضح لنا غربة الشاعر وشعوره بالخوف:

«عرّجتُ صوبَ مدائن النوم الكسيحة أستغيث

الكلُّ أقسم أن ينام

قدمٌ على قدم ومثلك لا ينام».

ويستمر الشاعر في وصف مشاعره وما يعتريها من اغتراب وألم فيقول:

« يا هذه المدن السفيهة يا مقابر يا فجاج

8 . بدوي، 1984، ص. 12، 34.

أسقيتني ملحا أجاج والزهو قد موّهته وولغتِ فيه»

كما يشير الشاعر الى غربة جده المكانية وضياعه في بلاد الروم الواسعة التي لم تمنحه الأمان فيقول:

« مضت سنتان... أرض الروم واسعةٌ

وجدّي دائمًا عاثرْ»

ترتبط الأم ارتباطا وثيقا بالمكان فهي ترمز إلى الأمن والأمان والوطن، فالشاعر في غربته يستذكر أمه فيقول:

« وأمّي، مهرةٌ شهباءُ تصهل قبل خيط الفجر

تفكُّ هنا ضفائرَها

وتلبس ثوبَها الأسود

وأمّي تقرأ الأشعارَ في الأسواق

وفي الغابات عند تجمّع الأنهر

وأمي أنجبت طفلًا، له وشمان، يشبهني...»

فالأم وفق باشلار،9 العشّ الأليف، بيت الطفولة، مركز الأحلام الأوّليّ، جدران الحماية والدخول الأوّل إلى العالم.10.

فلا غرو إذن أن يتذكرها الشاعر، ويعبّر من خلالها عن مدى غربته، وشوقه وحنينه لبيته ووطنه وأمه.

اعتمد الشاعر، إلى حدّ كبير، في هذه القصيدة، على تقنية الاسترجاع الذي يحيل إلى أحداث تخرج عن حاضر القصيدة لترتبط بالزمن الماضي، وخاصة استرجاع الأماكن، ويبرز البعد النفسانيّ للمكان داخل القصيدة، فالمكان ليس أبعادًا هندسيّة وحسب، إنّما هو المكان المصوّر من خلال خلجات النفس، وتجلّياتها، وما يحيط بها من أحداث ووقائع. إلى جانب الأبعاد الاجتماعيّة والتاريخيّة التي تكون وثيقة الصلة بالمكان، كما نجد في الأبيات الآتية:»

وسوقُ عكاظ فيها الشاعر الصعلوك

وفيها الشاعر المملوك

وفيها الشاعر-الشاعر

---

9. للاستزادة انظر، باشلار، 1994.

10. صالح، 2010، ص 111-112.

وأعمامي،

يلقون القصائدَ من عيون الشعر.

اللغة:

يستعين الكاتب بالتناص11 المأخوذ من التراث والتاريخ، ليؤكّد فكرة ما، كما فعل حين ذكر سوق عكاظ وأشار إلى قصة مقتل والد الشاعر امرؤ القيس بأيدي بني أسد:»

وأنا أريد بني أسد

قتلوا أبي واستأسدوا»

كما ورد التناص في اقتباس الشاعر للآية القرآنية:» إذهب وربك قاتلا»، وقد أراد بها الشاعر الإشارة إلى تخلّي قومه عنه، أو عن قضية شعبه الفلسطينيّ الذي وجد نفسه وحيدًا يصارع الاحتلال:» والآخرون تنكّروا: "اذهب وربك قاتلا»12

وكأنهم ما مرّغوا

تلك الذقون

على فتات موائدي

«والله لا يذهب ملكي باطلا»

والله لا يذهب ملكي باطلا.

ظهر في الأبيات أعلاه، الانتقال من ضمير الغائب(والآخرون تنكّروا) إلى المخاطب(اذهب وربك قاتلا) ثمّ المتكلّم(والله لا يذهب ملكي باطلا). وعادةً لا يكون الانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلّم بشكل فجائيّ، بل يمرّ في مرحلة الخطاب. وغالبًا ما يكون الترتيب: غائب، مخاطب ومتكلّم. إنّ وظيفة تغيّر الضمائر لها علاقة بالاقتراب من باطن الشخصيّة، فضمير الغائب هو أبعد الضمائر عن الشخصيّة، وعند الخطاب يقف الراوي-القارئ في مواجهة الشخصيّة أو

---

11 . يعّد التناص أحد وحدات القياس أو الاستراتيجيات الّتي تساعدنا على تأويل التداخل في الأجناس الأدبية لما يشغله من دور في الكشف عن طبيعة تشكّل النص وعن صراعاته التجنيسية وموقعه بين الأنواع الأدبية الأخرى. فمن استراتيجية التناص نستطيع تحليل علاقات النص الداخلية وانفتاحه على النصوص الأخرى ومقدرته على عقد علاقات لا حد لها. والتناص في أبسط صوره، يعني أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل (جابر، 2012، ص. 182-183؛ زعبي، 2000، ص. 11).

12 انظر: سورة المائدة، أية 24.

المخاطب، في حين أنّ تكنيك ضمير المتكلّم هو حديث الشخصيّة عن نفسها، من غير وساطة.[13] فالشاعر إذن يعبّر من خلال ضمير المتكلّم عما يجيش في نفسه المضطربة المستاءة من المقربين منها، فيشعر باغترابه وابتعاده عنهم.

كما نجد في لغة المناصرة كلمات تدلّ على المنفى والضياع مثل:» قال الشاعر المنفيّ حين بكى«»

وكما في المثال التالي:

«قدمٌ على قدم ومثلك لا ينام

حجرٌ هو المنفى وصوّانٌ وشوكٌ من رخام».

« أضاعوني، وأيّ فتىً أضاعوا».

إجمال:

يبرز الاغتراب المكاني في قصيدة» أضاعوني»، وذلك من خلال تقنية استرجاع الأماكن، التي تُبرز البعد النفسانيّ والاجتماعي والتاريخي، وذلك باستخدام الشاعر عدّة تقنيات في اللغة والأسلوب منها، الاسترجاع، التّناص، تغيير الضمائر، وإبراز ضمير المتكلّم الذي يطلع القارئ على باطن الشخصية ومعاناتها. وقد يكون الشاعر قد تأثّر بتيار الوعي، الذي يعبّر عن غربة الإنسان في عصر يكتنفه الغموض السياسيّ، وتتخبّط فيه المعايير والمفاهيم والقيم، فيتمّ توظيف الألفاظ من أجل التعبير عن الذات وكشف مكنوناتها. ولإثبات هذه الفرضية فإنّ الأمر يحتاج إلى المزيد من الدراسة العميقة في قصائد الشاعر عزّ الدين المناصرة.

المراجع

باشلار، غاستون (1996)، جماليّات المكان، ترجمة: غالب هلسا، بيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر، ط. 4.

بدوي، عبده (1984)، «الغربة المكانيّة في الشعر العربيّ»، مجلّة عالم الفكر، الكويت: د. ن.، مج. 15، ع.1.

الزعبي، أحمد (2000)، التناصّ نظريًّا وتطبيقيًّا، عمّان: مؤسّسة عمّون للنشر والتوزيع.

شاخت، ريتشارد (1980)، الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.

الشامي، عليّ (1986)، «أيديولوجيّة المغلوبين وموقف المسلمين من غلبة الروم»، مجلّة الفكر

13. غنايم، 1992، ص. 114-115.

العربيّ، بيروت: د. ن.، ع. 42، حزيران.

شتا، السيّد عليّ (1993)، نظريّة الاغتراب من منظور علم الاجتماع، الإسكندريّة: مؤسّسة شباب الجامعة.

صالح، فخري (2010)، «المدينة فضاء لروايات غالب هلسا»، قبل نجيب محفوظ وبعده، سلسلة كتابات نقديّة، القاهرة: الهيئة العامّة لقصور الثقافة، ص. 111-124

الشقيرات، الشقيرات، أحمد (1987)، الاغتراب في شعر بدر شاكر السيّاب، عمّان: دار عمّار.

العدناني، محمّد (1983)، معجم الأخطاء الشائعة، بيروت: مكتبة لبنان، ط. 2.

غنايم، محمود (1992)، تيّار الوعي في الرواية العربيّة الحديثة، بيروت: دار الجيل.

ويكبيديا الموسوعة الحرّة.

Said, Edward (2000), Reflection on Exile and Other Essays, Cambridge: Harvard University, Press.

بسيسو
والقصيدة التّحريضيّة

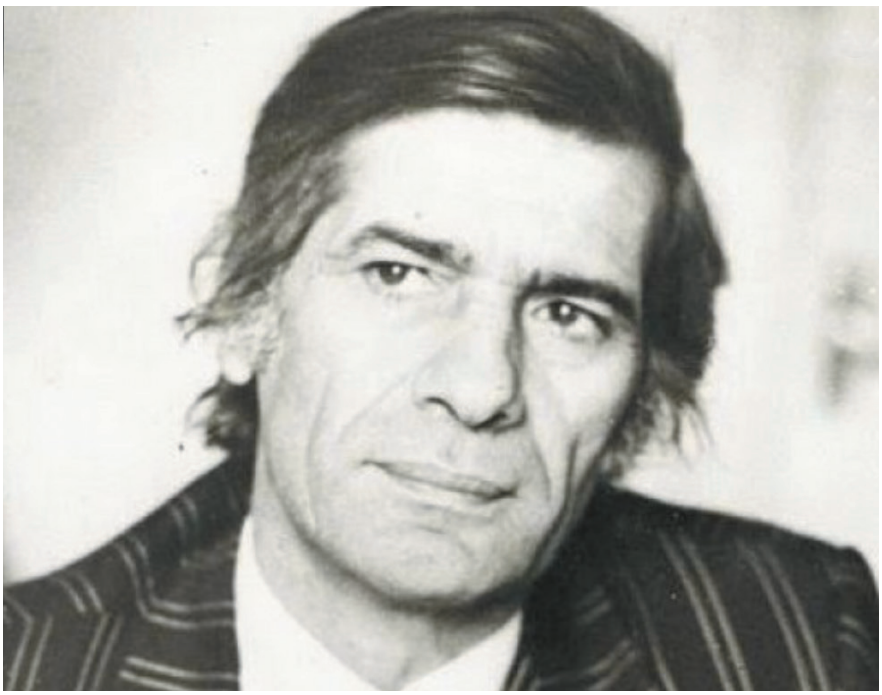

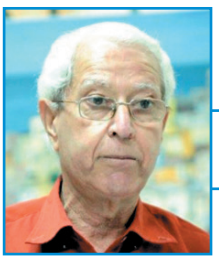

رشدي الماضي

مصطلح «القصيدة التّحريضيّة» يفضي عادةً الى سؤال ينتظرهُ عَتبتُهُ: «الثّقافة الوطنيّة».

لكن، بداية يجب أن نُسجِّل بأنَّ السؤال الذي يُشير بوضوح الى «الوطن» لا يكون واضحًا دائمًا، لأنَّ للثَّقافة معان مختلفة...

ويتحتَّم علينا ونحن نقول هذا، أن نورد ما تقترحُهُ «الثَّقافة الوطنيّة» تعريفا لذاتها: تعريفا مُفاده... بأنّها جملة الوقائع الوطنيّة العمليّة والآثار الشَّفهيَّة والمكتوبة التي يُعرِّف لها شعب معيَّن ذاتَهُ في مواجهة قوّة خارجية لا تريد أن تعترف بهِ..

وهنا، لا بدّ ونحن في هذا الصَّدد، أن نعود الى موضوع التقاء الشّعر بالثقافة الوطنيّة، خاصة في الحال الفلسطينيّ، حيث لعب الشِّعر، بقصيدتِهِ التّحريضيّة دورًا بارزًا تحريضيًّا ووطنيًّا بامتياز...

أقول قولي هذا، كي أعود الى شاعرنا، الذي ناداهُ صلاح جاهين: «يا معين يا صور الضّحايا، ارعد بصوتك معايا»...

كيف لا؟ ومعين بسيسو كان مأخوذًا بصورة «الشّعراء المقاتلين»، وقد كتب في مُنجزِهِ «دفاتر فلسطينيّة»: «وجدت نفسي في جريدة «الملايين» الأسبوعيّة، كان رئيس التّحرير أحمد صادق عزّام وكانت «الملايين» صوت الحركة الديمقراطيّة للتّحرّر الوطني، أوّل مَنْ قدّم لي الشّاعرين الفرنسيين – اراغون وايلوار – وكان الشّاعر فؤاد حداد، وحسن فؤاد وزهدي الرسامان المصريان قدما لي بيكاسو وصلاح جاهين...».

لا يخفى على القارئ ببصر وبصيرة أنَّ السُّطور القليلة السَّابقة تخترق مفردات: الملايين، الديمقراطيّة، التّحرّر الوطني، الشِّعر وعالم الألوان، وعنوانه بيكاسو، الذي احتفظ ببطاقة الحزر الشّيوعي الفرنسي حتى رحل...

لكن، ما كان يقيق ويقضّ مضجع معيننا آنذاك، وما زال يُقلق القصيدة الصَّادقة موقفا اليوم، هو تحوّل الثقافة الوطنيّة الى جزء من أيديولوجيا سلطويّة، تختصر الوطني الى السُّلْطوي، وتنصب السُّلطوي مرجعا لكلّ اقتراح ثقافي...

ففي جولة سريعة في سوقِنا العربيّة الثقافيّة، نتعثّر، باستبداد مثقّف ماسخ أدمن المحاكاة البليدة – بقدر ما أدمن التَّصفيق للهزائم والتّصفيق الأكثر غبطةً للأطراف العربيّة واللاعربيّة التي هزمت وتهزم روح للمجتمع العربي وجسده...

لكنَّ شاعرنا، طيّب الله ثراه، آمن بـ»قوّة الكلمات» واحتفل بالكلمة الصّارخة الى تخوم التّقديس، ظلَّ يقول وعلى طريقتِهِ ليحيل الى موقع مختلف تماما، فجعل لقصيدتِهِ التّحريضيّة حَدّين هما: الخطر والمواجهة... فجاءَت دعوتُهُ صوتا عاليا يدعو الى التَّمرّد والتّحرّر والنّهضة...

معكَ، أيها الغائب الحاضر فينا سنردد ما سجّلتَهُ في مسرحيّتك «مأساة جيفارا»: مات جيفارا الأسطورة... قام جيفارا الإنسان»!!! مُبشّرا بالخير والفَرح لتظلَّ جزيرتك القادمة آخر حرف في القصيدة...

ادب أطفال

بقعةُ ضوء على قصة

«دجاجة دندن»

للكاتب مصطفى عبد الفتاح

فتحية امين

نلحظ في الآونة الأخيرة كمًّا هائلًا زخمًا ووفرة مِن نتاج ادبي في قصص الأطفال، هذا على الرَّغم من أنَّ ادب الأطفال فنّ مِن أعقد وأصعب وأهم الفنون، المكتوبة على عكس ما يتراءى للبعض مِن سهولة وبساطة في الكتابة والتَّأليف.

تنبع أهميّة ادب الأطفال كونه اللّبنة الأولى في تشكُّل وبناء شخصية الطّفل من طباع وميول ومعتقدات وأفكار قادرة على الخلق والابداع هذا الطفل الذي سيقود العالم في الغد القريب.

فكاتب ادب الطّفل تحكمه قضايا وحاجات الطفل وهي كثيرةً من تطور نفسي وعقلي وعاطفي والفئة العُمريَّة المستهدفة، القِيم الإنسانيَّة والتربويَّة والوطنيَّة التي يريدُ الكاتب ايصالها مِن خلال تقديم عملٍ فنيٍ متكامل قادر على مخاطبة وجدان الطّفل وزرع تلك القيم في وعيه. فالطّفل يميل إلى ما هو مُمتع ومُثير.

زد على ذلك التَّحديات الكبيرة الَّتي يواجهها الكاتب نتيجةً لانكشاف الطّفل في عالم مُتغير وسريع الإيقاع، على تقنيَّات اتصال متطورة وهواتف ذكية والعابٍ الكترونية وشبكةٍ عنكبوتية.

فلا خيار للكاتب امام كل هذه التَّحديات المُنافسة الَّا مواكبة التغير ليتناسب مع احتياجات

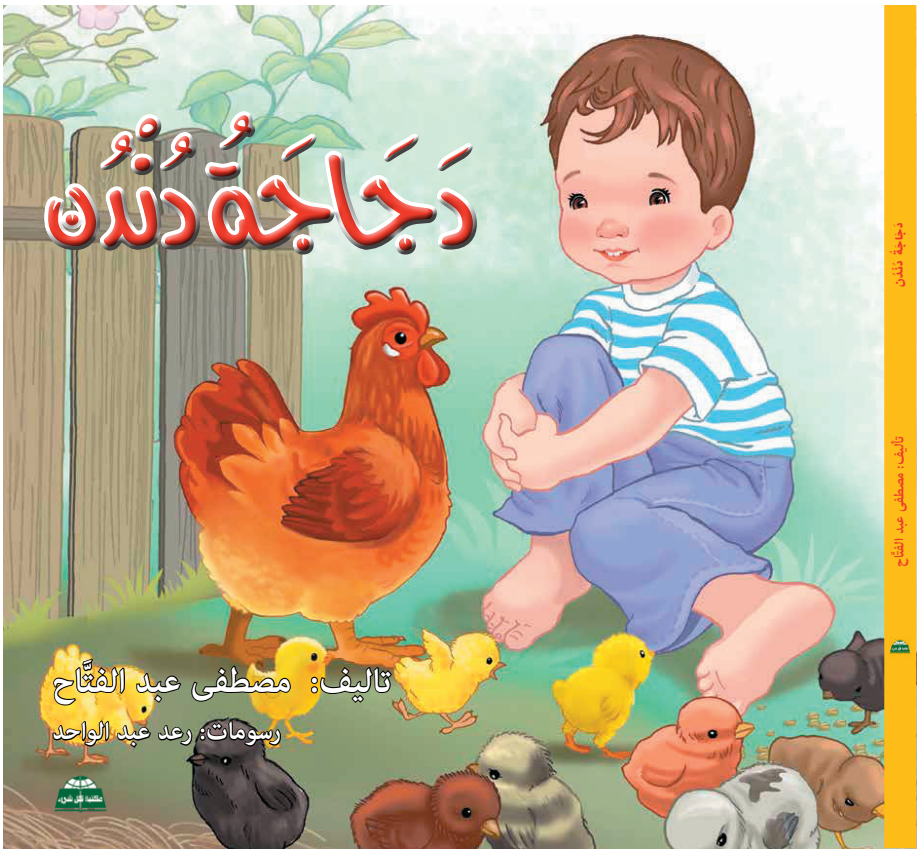

الطفل، والتي هي أيضا تغيرت بكل صُورها من ثقافة وسلوك واخلاق وقيم كان يستقيها الطّفل من بيئته ومحيطه الّذي ترعرع فيه، هذه البيئة التي اتَّسعت دائرتها من الأسرة الصَّغيرة الى عالم تكنلوجي واسع مِن المُغريات، ولا سيطرة لنا عليه. فالطفل لم تعد تُغريه قصص السَّاحرات والاميرات والبطلة السَّاذجة التي تنتظر من سيأخذ بيدها.

كثير من الأهالي يواجهون صعوبة في اختيار القصَّة المُناسبة لطفلهم، صحيح أنَّ الورق اللامِع والألوان الزَّاهية والرسومات الجميلة تجذب الطّفل والاهل، لكن هل هذا كاف؟ وماذا بخصوص المُحتوى؟ مِن هنا وجب العمل على بناء حركة نقدية مِهنية وظيفتها فحص ومراقبة ما يقدَّم لأطفالنا من ثقافة وادب.

وفي هذا السياق وقع اختياري على قصَّة مِن ادب الأطفال للكاتب مصطفى عبد الفتاح بعنوان «دجاجة دندن» كنموذج ولإلقاء الضوء على مُحتواها، تقع القصَّة في تسعٍ وعشرين صفحة مِن الورق الصَّقيل والحجم المُتوسط، رسومات الفنان رعد عبد الواحد. وهي مخصّصة للفئة

العمرية من 3 – 8 سنوات.

باختصار ، هي قصةُ دجاجة تعيش في قفص ضيّق بائس مع صديقاتها الدجاجات، لدى أحد الفلاحين، سئمت من حياة القفص المُملَّة، والتي لا نفع فيها، ومن استغلال الفلّاح لها. في البداية حزنت وانكمشّت على نفسها لكنَّها لمْ تستسلم وأصرَّت على حقّها في الحريّة، والعيش الحرّ الكريم، أضربت عن الطَّعام، وفكَّرت بطلب المساعدة من صديقها ابن الفلاح.

يدور حوار بين الدَّجاجة والوَلد، شرحت فيه مُشكلتها، ومطالبها المُحقّة والعادلة لصديقها ابن الفلاح. هنا أراد الكاتب ان يوصل للقارئ، طريقة الحوار البنَّاء، كوسيلة للإقناع بعيدًا عن العنف. وتنجح الدّجاجة بوساطة الطّفل، في نيل حريّتها وتحقيق حُلمها بممارسة الامومة كحق طبيعي.

تحمل القصَّة رسائل إنسانية وأخلاقية عُليا، فالحرية حاجة إنسانية لدى كل المخلوقات، كما الامومة حاجة غريزية إنسانية لاستمرارية الحياة، وحفظ الاجناس، كحاجة أساسية مطلوبة عند كل الكائنات الحية، كما جاء على لسان الدجاجة « أُريد ان أشعر بطعم الامومة» رفض الاستسلام للظلم والاستغلال واستبداله بأساليب سلميَّة كالإضراب عن الطعام والحوار الهادئ وطلب المساعدة.

خلاصة القول هي قصة زاخرة بالقيم الإنسانية والأخلاقية العُليا، التي نحن بحاجة لتَذويها في وَعي الطّفل، خاصةً في زمننا هذا، تحمل الكثير من المُفردات والثَّروة اللّغوية المُتطورة والرّسومات المعبرة، جُملها قصيرة، وسلسة إلّا أنَّني كنت أحبذ لو أَشركت الدجاجة زميلاتها الدّجاجات في نِضالها من اجل نيل حقوقهن، فلم يكن دور للدجاجات في القصة. كما أرى انه لو كان الحوار بين شخصيات آدمية يكون مؤثرا على الطفل أكثر وهذا طبعا رأيي، اما الفئة العمرية فإنها تلائم أجيال أكبر من المسجل على القصة.

بكاءُ عَ الهَدى وقد لا يَسمع حدا

د. نجيب صعب

بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية الذي صادف 18.12.2020

تشمل اللغة العربية 12 مليون كلمة وتتصدر قائمة جميع اللغات في العالم.

يتحدث باللغة العربية نحو 467 مليون نسمة وما يقارب 300 مليون ناطق بها.

صادف يوم 18.12.2020 اليوم العالمي للغة العربية حيث توالت الأمور للوصول إلى هذا اليوم تطورات عديدة منها: أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً عام 1973، رقم 3190 يقضي بإدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وذلك في أعقاب اقتراح المملكتين السعودية والمغربية في نطاق انعقاد الدورة رقم 190 لمجلس منظمة اليونيسكو التنفيذي التابع للأمم المتحدة.

وكذلك في عام 1960 أقرت اليونيسكو استخدام اللغة العربية في مؤتمراتها الإقليمية التي تقام في الدول الناطقة باللغة العربية وترجمة منشوراتها ووثائقها الأساسية إلى اللغة العربية، وبعد ستّ سنوات تقرّر تعزيز مكانة اللغة العربية في اليونيسكو بتوفير خدمات الترجمة الفورية إلى هذه اللغة ومنها إلى لغات أخرى، وبعد سنتين أي عام 1968 اعتُمدت اللغة العربية بشكل تدريجي لغة عمل أُسوة بباقي اللغات المعمول بها إضافةً إلى بدء الترجمة للوثائق والمحاضر الحرفية بشكل فوري إلى اللغة العربية. وفي شهر تشرين الأول من العام 2012 ولدى انعقاد

جميع أنواع الكراميكا
ومستلزماتها
أسعار لا تضاهى
كراميكا سامر
يركا – الشارع الرئيسي – بجانب دوار الطب بعد كنيون كنعان
04-9562435
أيام وأوقات العمل من الاثنين حتى السبت 09:00 -19:00 أيام الأحد مغلق

الدورة ال190 لمجلس اليونيسكو التنفيذي تقرر نهائياً تحديد يوم الثامن عشر من كانون الأول يوماً عالمياً للغة العربية للمرة الأولى في التاريخ، وبعد ذلك بأقل من عام واحد وبالتحديد في 23.10 من العام 2013 أقرّت الهيئة الاستشارية للبرنامج الدولي لتنمية الثقافة العربية باسم «أرابيا» والتابعة لمنظمة اليونيسكو بأن يكون اليوم العالمي للغة العربية أحد الفصول الأساسية في برنامج عملها السنويّ.

وإذ نحتفل جميعاً بهذه المناسبة الثقافية والتربوية العطرة، لا بدّ من التّطرّق إلى ما آلت إليه اللغة العربية في العقود الأخيرة، حيث أرى حاجة ماسة إلى مراجعة أوراقنا جيداً للحفاظ على هذه اللغة حالياً ومستقبلاً كما كانت، ولنعود الآن إلى عنوان المقال.

«البكاء عَ الهَدى وقد لا يسمع حدا»، إنّه بكاءٌ من نوع اخر لا يصدر عن بكاء الذات، وقد لا يتفوّه به امرؤ، وإنّما هو بكاء اللغة العربية تزاوله يوميا على مدار الساعة تقريبا، وهذا البكاء لا يشعر به كلّ الناس لأسباب عديدة نحن لسنا بصددها في هذه العجالة.

هذه اللغة العربية المعروفة بلغة الضاد تُعد من أقدم اللغات السامية على الإطلاق، وقال تعالى في كتابه الكريم: «إنا انزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون». وهذه اللغة اكثر اللغات السامية تحدثا واغزر اللغات أيضا بالمفردات، حيث انها تحتوي على نحو12 مليون كلمة، وهي اكثر اللغات انتشارا في العالم، ويتحدث بهذه اللغة نحو467 مليون انسان، والناطقون باللغة العربية في العالم يصل عددهم ما يقارب 300 مليون انسان، واللغة العربية الفصحى التي كُتبت بها النصوص العربية والى جانبها اللغة العربية العامية والدارجة التي تُحكى بلهجات عديده محلية، واللغة العربية الفصحى الحديثة، واللغة العربية القياسية الحديثة او ما تُسمى فصحى العصر وتسمى باللغة الإنجليزية «اللغة العربية الفصحى».

مع كل هذه التعريفات للغة الضاد هناك تعريفات ومعلومات أخرى كثيرة تدعم لغة الضاد وتعطيها حقها بين لغات العالم، حيث تحظى بمكانة مرموقة بين لغات هذا العالم الواسع.

وفي الحقيقة لا ازيد تعريفا في هذه السطور لأنّ اللغة العربية غنية عن تعريف إضافيّ، إلاّ أنّني أودّ إبداء بعض الملاحظات فيما يحدث لهذه اللغة في الظروف الراهنة والتي ينبغي ابرازها ووضع النقاط على الحروف من باب الأهمية في هذا السياق. فكتّاب كثيرون يفقهون لغة الضاد ويعطونها حقّها غير منقوص من حيث أصول اللغة وقواعدها واللباقة في الكتابة التي تظهر وتبرز أيضا صحّة اللّغة وصحّة استعمالها وإعطائها حقّها في اللفظ الصحيح والحقيقي من ناحية القواعد والأداء السليم، إلا انّنا أيضا أيها القراء الأعزاء نرى ونلاحظ بين السطور لدى الكثيرين من الكتاب والخطباء من مختلف الاطياف الأدبية والصحفية ومن خلال النقاشات

اليومية والجدالات حتى بين الضليعين باللغة وبين المستضلعين في هذه اللغة فهنا حدّث ولا حرج!!!

فكثيرة هي الاخطاء اللغوية ان كانت في اللغة المكتوبة او المسموعة والمرئية والمقروءة من على وسائل الاتصال المتنوعة وخاصة الحديثة منها، وفي كثير من الأحيان حتى تُقرأ خطأ وتكتب أيضا خطأ وليست بموجب القواعد الصحيحة للغة الضاد، هنا، من يفقه اللغة يسمع بكاءها عَ الهَدى وجل السامعين لا يدركون ذلك أبدا او أنّ الامر لا يعنيهم.

وأستبيحكم عذرًا زملائي الذين يتبوّؤون مناصب اجتماعية، ثقافية، تربوية وسياسية، أرجوكم بربكم إنصاف اللغة ومراعاة اصولها جيدا لأننا نضفي بذلك رونقا إيجابيا أكثر في صحة اللغة واصولها.

يعذرني القراء جميعا لأنّني هنا بصدد الملاحظات وليس بقصد التّعرّض لأيّ كان لا سمح الله، وإنّما لتبادل بعض منها.

وقد نقرأ من على صفحات الجرائد على اختلاف أنواعها الكثير من الأخبار وربما المقالات التي تشعر انت أيها القارئ، ايتها القارئة ببكاء اللغة الهادئ يا حرام!! ولا مَن يكترث بذلك، فالأخطاء في الاملاء والقواعد تنتشر هنا وهناك فبربكم هل هذا يليق بلغة ال 12 مليون كلمة؟؟

وهل يليق بهذه اللغة ان يتحدث بها إنسان أياً كان؟ وربما يكون موظّفًا في صحيفة او مؤسسة تعليمية او إعلامية او غير ذلك بكلمات يجب ان تأخذ حقها في اللفظ الصحيح وكأنه لا علم له بهمزة القطع والوصل مثلا، وأين موقف الجار والمجرور والمبتدأ والخبر وغيرها من دروب أصول اللغة والنّحو الصحيح؟

فاللّقاءات الأدبية والصحفيّة والإلقاء فيهما وحتى في مواقع الخطابات وإلقاء الكلمات والأسئلة والإجابة عنها في بعض الأحيان، هنا يستوجب الامر تقييماً فوريا من قبل ذوي الشأن واستخلاص العبر على طريق التحسين للأفضل بهذا السياق.

هنا البكاء ثانية وثالثة عَ الهَدى وتنتهي الكلمة والخطبة والنشرة والمقالة وغيرها في هذا المضمار وكأن شيئا لم يكن!

ففي نظري للتخفيف من هذا البكاء عَ الهَدى يجب العمل على إعادة النظر في سبل وطرق اعداد وانتقاء الكوادر الفاعلة عن طريق دورات ارشادية يشرف عليها لغويّون في نطاق الحرص على سلامة وصحة الأداء، ورفقا باللغة لأنه من حقّ السّامع أن يسمع الكلام الصحيح والموزون في ظلّ الأداء المدروس والمنقح ليخلو من الأخطاء اللغوية والتي تظهر لدى لفظها خطأً وربما تكون مكتوبة بشكل صحيح، والمشكلة في الأداء!

وعليه أرجو ان تلقى هذه اللفتة الخاطفة اذاناً صاغية لدى المسؤولين واولي الامر، ومرةً اخرى بدون أي قصد للمسّ بأيّ كان، والهدف الأول والأخير في هذا المجال هو الأداء السليم وإنصاف اللغة من الأخطاء التي تُسمع تقريبا وتُقرأ أيضا بدون انقطاع.

العرب والناطقون بالضاد بحبهم لهذه اللغة منذ العصر الجاهلي الذي اشتهر فيه العرب بالتباهي بمدى معرفتهم لقواعد هذه اللغة وتطبيق نواحيها وخاصة في الشعر الجاهلي.

كل هذا وغيره، مما تستحقه هذه اللغة المصنّفة من بين أصعب خمس لغات في العالم، حيث انها تُعرف بكثرة وجود القواعد اللغوية، الإملائية والنحوية فيها، ولأنّ هذه اللغة العربية الفصحى هي واحدة من اللغات السامية القديمة والتي تقسّم إلى ساميّة شرقيّة وساميّة غربيّة، تعتبر لغتنا هنا من اللغة الساميّة الغربيّة الوسطى وهي من أقدم لغات العالم الآفرو أسيوية التي يتحدث بها أبناء القارتين أفريقيا وآسيا منذ العصر الحجريّ.

وبالإضافة إلى ذلك كلّه، علينا ألاّ ننسى أنّ هذه اللغة العربية الفصحى هي التي وحّدت كل اللهجات العربية رغم صعوبة واختلاف هذه اللهجات لأنها لغة مرنة أيضا، فمِن جذر الكلمة الواحدة نستطيع استنباط العديد من الصفات والأفعال كما يعلم الكثيرون.

لذا علينا جميعا ومن مختلف الأُطر الفاعلة كلٌّ في مجال عمله وبجديّة مقاومة الظواهر السلبية في هذا السياق بغية التحدث والإلقاء والأداء وفي كل مناسبة كي نعطي هذه اللغة الفصحى حقها كاملا غير منقوص، ذلك نزولاً عند المسؤولية في الحفاظ على مصداقيتها وبشتّى الوسائل لصيانتها وتدعيمها كما تعوّد السالفون من لغويّين ونحويّين لضمان استمرارها ماضياً، حاضراً ومستقبلا والله الموفق.

أبوسنان

AMG | PLASTECH SOLUTIONS

A.M.G

صناعة وتسويق جميع أنواع العلب البلاستيكية

بإدارة: صالح رمّال (أبو سلمان)

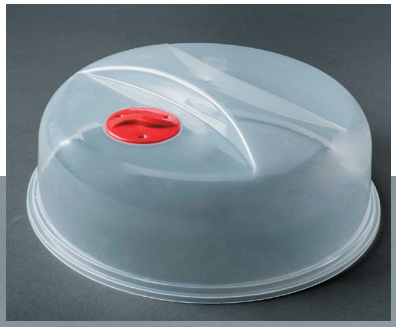

يركا- المنطقة الصناعية هاتف: 04-9967386 فاكس: 04-9564386

الموقع على الإنترنت www.amgplastics.com

أُلبصّة

الحلقة الأولى

محمد نجيب حسين

المقدمة:

أكاد لا أجد تفسيرًا لهذا الحنين الذي يشدَني إلى هذه القرية الوادعة كلما مررت بقربها في الطريق إلى المنطقة الشمالية من الجليل الغربي. كما لا أستطيع أن أعرف مدى الجذب الذي يجبرني أن أدخل إليها ولو لبعض الوقت، لأشاهد بعض مبانيها المتبقية كناطحات سحاب شامخة رفضت الزوال والاندثار بين مبان حديثة ومصانع واسعة أخذت مكان البيوت التي كانت يوما تعج بالحياة.

إنّها البصة التي وصفها أبناؤها بعروس القرى وعروس العرائس وجنة من جنان فلسطين الخالدة.

إنّها العروس التي تمّ اغتصابها عام 1948 بعد أن دخلتها قوات الاحتلال لتجعل مبانيها ركاما وسكّانها لاجئين.

عندما أترجَل وأسير في طرقاتها وبين مبانيها وحجارة بيوتها التي جعلوها ركاما، أشعر بأن كلّ حجر ينطق بمدى الفاجعة التي ألّمت بالقرية وسكانها، سكانها الذين جعلوها جنة غنَاء فيها من الثمار والزهور والطيور والجَمال ما يفوق الوصف، أهلها الذين مزجوا طوائفهم طائفة واحدة بانسجامهم ومحبّتهم وتعاونهم بعدما فشل المحتلّ البريطاني أن يفرّقهم إلى طوائف وشيع متناحرة.

لقد كان العريس المسيحيّ ينهي زفّته قرب المسجد والمسلم ينهيها قرب الكنيسة.

لم تكن هذه القرية كسائر قرى الجليل او قرى فلسطين، بل قطعت شوطا متقدما من الرّقيّ والتقدّم بفضل سكّانها الذين جعلوها منارة للعلم ومزارا ومكانًا للرزق.

إنّها البصّة التي أحبّها أهلها وغرسوا في أبنائهم وأحفادهم انتمائهم لتلك البقعة الطّاهرة والتي لا تغيب عنهم مهما تقدّم الزّمن ... أهلها الذين ساروا في دروبها وشربوا من ينابيعها العذبة، وأكلوا من ثمارها وحبوبها التي زادت عن حاجتهم، وتسامروا في مقاهيها وسبحوا في بحرها واستيقظوا على أمواج بحرها الذي كان يضرب مغاور الناقورة شتاء.

هذه البصّة التي وصفها الأستاذ نعيم مخول الذي تعلّم وعلّم في مدرستها الثانوية باللبؤة التي تربض لترقب البحر الهادر أيام الشتاء وترصد مرور القطار القادم من الجنوب في طريقه الى بيروت عبر نفق الناقورة.

جاء عام 1948 ليتوقف الآذان عن مأذنتها وتصمت أجراس الكنائس ويرتفع جعير أصوات المصانع والسيارات التي تصمّ الأذان، وطغت الأشواك عليها وتُركت بعض المباني الشامخة لتشهد الجرائم التي قام بها الاحتلال، الذي حوّلها بين عشية وضحاها الى ركام، ولو بقيت هذه القرية لأصبحت من أكبر مدن فلسطين قاطبة وعاصمة للشمال كلّه، لكنّها لم تيأس وستبقى في

انتظار أهلها المشتّتين ليعيدوا إليها الحياة والازدهار.

التّسمية:

البصّة كلمة كنعانية (بصَاه) بمعنى المستنقع، وبَصّ الماء بمعنى: رشح الماء.

ونذكر بأنّ هناك العديد من القرى والمواقع داخل فلسطين وخارجها تحمل هذا الاسم، فهنالك بصّة الأردن، وبصّة اللاذقية، وهناك مستنقعات السّاحل والحولة التي غمرتها المياه حتى أيام الصيف. وسميت قرية البصّة بهذا الاسم لكثرة المياه التي غمرت أراضيها شتاءً، والتي جرت في أوديتها، لتنقلها الى البحر المتوسط عبر ثلاثة أودية أحاطت بالقرية ومرت داخلها.

فوادي البصّة يمر داخل أراضيها، وسميّ بوادي «قرقرة» او «كركرة»، ووادي القرن يمرّ جنوبها ويفصل أراضيها عن أراضي ترشيحا ومعليا ووادي (أبو جعران) الذي يسمّى حاليا وادي حانيتا، يجمع المياه الساقطة شتاءً من جبل المشقّح، كلّ تلك المياه جعلت من أراضي البصّة خزانًا باطنيًا للمياه، أينما تحفر تخرج هذه المياه لاستغلالها للريّ أيام الصيف.

لهذا أقام الإسرائيليّون مستوطناتهم على أراضي البصّة وسمّوها בצת، بمعنى مستنقع، كما أقاموا שלומי مدينة التّطوير على أنقاض مسطّح القرية وأراضيها.

نبذة تاريخيّة:

يذكر الدكتور المرحوم يوسف حدّاد في كتابه "المجتمع والتّراث في فلسطين" بأن البصّة بلدة قديمة العهد تعود الى العهد الكنعاني، فقد حفرت دائرة الأثار في القرية ومحيطها، ووجدوا العديد من الآثار مثل المصاطب المرصوفة بالفسيفساء والصهاريج المحفورة وقبور منقورة في الصخر، وعُثر على مدافن مسيحيّة احتوت على نقود وزجاج يعود الى عصور مختلفة.

كما وجدوا العديد من الأثارات في الخرب الموجودة حول القرية كخربة المعصوب، عين البيضا، خربة بنّا، أدميت، حمصين، كركرة وباط الجبل شمال القرية.

وفي الفترة الأخيرة تمّ اكتشاف معمل وفرن لصناعة الأدوات الفخارية والتي أُعدّت لحفظ النبيذ والزيت وتصديره عبر البحار الى العالم. إضافة إلى هذا الفرن فقد وجدوا مستودعات للمياه ومخزنا لحفظ تلك الأدوات، كما عُثر على جدران لبيوت تعود إلى الفترة البيزنطية ونقود عُثمانية تعود لفترة السلطان عبد الحميد الثاني. أما الدكتور رافع أبو ريا فقد حفر بعض البيوت داخل البصّة العربية ووجد العديد من الأدوات التي استعملها الفلاح البصّي قبل نزوحه عن القرية مثل المناجل والمناكيش وأدوات زراعية أخرى. وإن دلّ ذلك على شيء فإنّه يدلّ على أنّ هذه القرية وضواحيها كانت مسكنًا ومكانا مهمّا كونها حلقة الوصل بين فلسطين ولبنان، وقد ساعدت أراضيها الخصبة ومياهها الغزيرة على السكن فيها منذ مئات السنين.

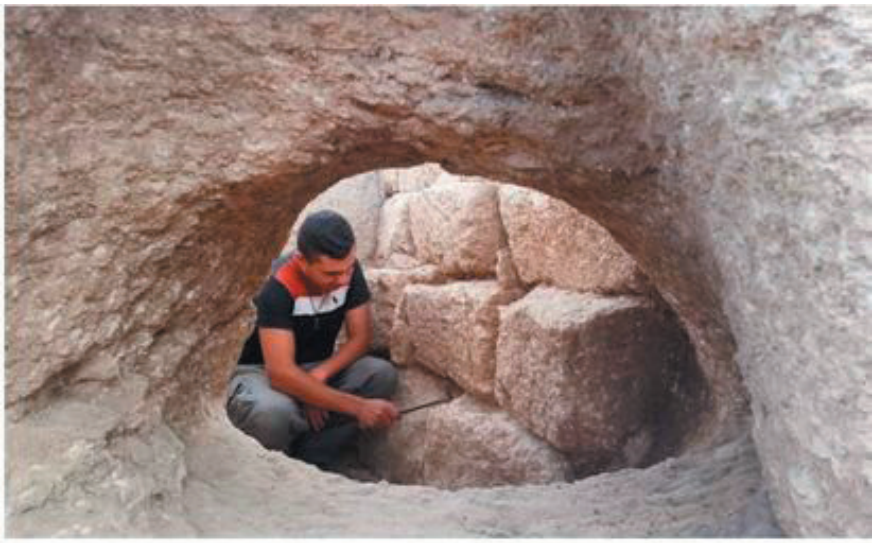

ורידי המפעל שנחשף צילום: רשות העתיקות

موقع القرية:

تقع البصّة في شمال غرب الجليل الأعلى، وكانت تتبع لجبل عامل في جنوب لبنان، ثم ألحقت بفلسطين عام 1923 من قبل البريطانيّين بعد اتفاقيّة سايكس بيكو.

تتبع البصّة لقضاء عكا الذي يضمّ 65 قرية عربية وثماني مستوطنات يهودية قبل ال 48 وثماني عشائر بدوية كانت مستقرة في المنطقة منها: العرامشة، القليطات، الحجيرات، المريسات، السواعد، السمنية، العويطات.

يحدّها من الشّمال جبل المشقح. سمّي بذلك لكثرة الأودية الضّحلة التي شقحته ويسمّى بسلّم صور، نظرًا لأنّ المسافرين من فلسطين إلى جنوب لبنان عليهم الصّعود والتّسلّق على هذا الجبل للوصول إلى صور وصيدا. فسلسلة الناقورة تدخل إلى البحر دون أن تترك فتحة على الساحل للمرور.

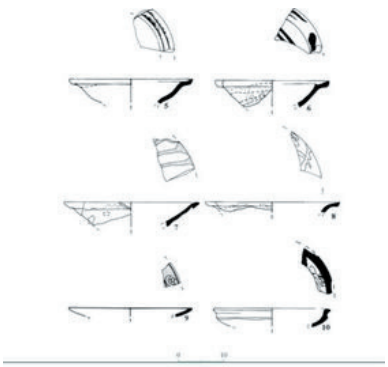

3. ממצא כלי חרס.

شمال القرية يجري وادي أبو جعران والمسمّى حاليا بوادي حانيتا، خلف هذا الجبل ومقابل البصّة تقع قرية لبونة اللبنانية وإلى الشرق منها قرية علما الشعب، إلى الشرق من البصّة يمتدّ سهل البنّا وشماله تقع خربة البنّا على اسم نيقولا البنّا من أهالي صور الاقطاعي الذي باع السهل للمستوطنين لإقامة مستعمرتهم "متسوبا" التي أقيمت عام 1940.

الى الجنوب من القرية يمرّ وادي البصّة (كركرة) وتمتدّ أراضي القرية حتى وادي القرن الذي يفصل بين أراضي البصّة وبين أراضي ترشيحا ومعليا.

الى الجنوب الغربي تقع أراضي الزيب المهجّرة والى الغرب تمتدّ أراضي القرية حتى تصل الى البحر، كما أسلفنا فإنّ وادي البصّة يمرّ بأراضي القرية ومقطعه الأخير يسمّى وادي البير.

بعد تهجير سكّان القرية أقامت إسرائيل العديد من البلدات اليهودية على موقع واراضي القرية. على مسطح القرية أقيمت שלומי (شلومي) والى الشرق منها أقيمت مستوطنة "متسوبة" . من الجهة الغربية أقيمت مستوطنة בצת (بتسيت) وكيبوتس رأس الناقورة.

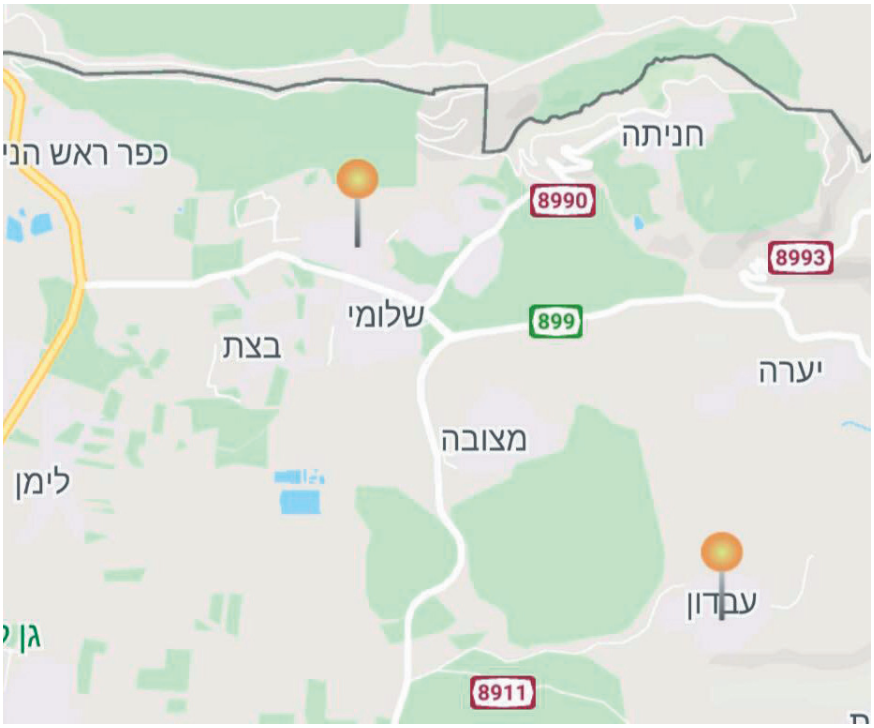

البصّة تحوّلت إلى שלומי

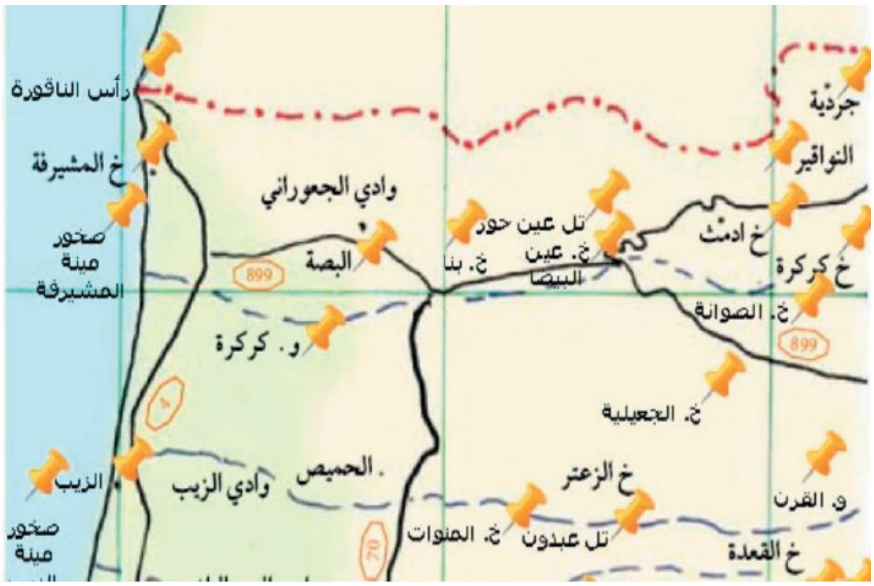

البصّة والخرب المحيطة بها

أراضي القرية:

ملكت القرية حوالي 16000 دونما من أخصب الأراضي وأجودها وملاءمتها لكلّ أنواع المزروعات والأشجار المثمرة. وقد تصل مساحة أراضيها الى أكثر من ذلك إذا أضيفَتْ أراضي الخرب التابعة لها.

قُسّمت أراضيها إلى قسمين: أراض مرويّة وأخرى بعليّة تعتمد على مياه الأمطار، الأراضي الغربية من القرية والقريبة من البحر تمّ إرواؤها من الينابيع الكثيرة في منطقة المشيرفة، وقد بني سدّ لجمع المياه وتحويلها بواسطة قنوات لريّ الخضراوات والأشجار المثمرة، كما تمّ حفر آبار ارتوازية نظرا لارتفاع منسوب المياه الباطنية، وأقاموا البيّارات وغرسوها بكلّ أنواع الحمضيّات والأشجار المثمرة معتمدين على المضخّات لسحب المياه من تلك الآبار.

يذكر أن البيّارة كلمة أخذت من بير-وهي قطعة الأرض الذي بداخلها بئر ارتوازيّ، ويذكر الدكتور يوسف حداد بأن المورد الأساسيّ للخضار كان الكوسا الذي يباع بالعدد وكان معدل ما يصدر يوميا الى المدن طيلة الموسم حمولة عشر شاحنات، أمّا الزراعة البعليّة والتي اعتمدت على مياه الأمطار فكانت الحبوب على أنواعها قبل القمح، الشعير، السمسم، الذرة، أشجار الزيتون والتين واللوز والكرمة والتوت والخرّوب .

ويضيف الدّكتور حدّاد بأنّ الزيتون كان عماد الأشجار المثمرة في البصّة، حيث غرس حوالي 3500 دونم – البرتقال 520 –الموز 22 –ويقول بأن عكر زيتها كان يصل الى البحر، ورُبّ خروبها كان ينتشر في الجوّ لمسافات بعيدة ولهذا فقد كان في القرية عشر معاصر لعصر الزيتون.

أراضي البصّة كانت تتبع لأصحابها المزارعين والإقطاعيين من لبنان. واعتمد البصّاوي على أرضه ولم يُفرّط بها رغم الإغراءات المتكررة لشرائها من السّكان اليهود، وأما الأراضي التي كانت تتبع للإقطاعيّين فقد انتقلت إلى المستوطنات وتمّ شراؤها بأثمان زهيدة.

ونذكر على سبيل المثال سهل البنا الذي باعه نيقولا البناء لسكان مستوطنة "متسوبا"، كما باعت عائلة زعرب من علما الشعب أراضي "حانيتا" للمستوطنين.

الى جانب ذلك قام اليهود بانتزاع مئات الدونمات من أصحابها بمظلّة ودعم الانجليز مثل الأراضي التابعة للسادة جبران وشويري وموسى بشارة الخوري في منطقة تسمى الهمبوزية ولبطرس بولس والياس خوري ويعقوب جبر في منقطة المعصوب (متسوبا) بحجة أنّ أراضيهم تتداخل مع أراضي المستوطنة.

وقد قدّم أصحاب الأراضي شكاوى للمحاكم الإنجليزية التي رفضت بدورها منافسة قضيتهم.

ولا بدّ أن نذكر أنّ مختار القرية صالح المفلح الذي كان له أراضٍ وبيت في معصوبا وقد تمّ استدعاؤه الى المستوطنة وإغراؤه بالأموال من أجل بيع أرضه وبيته، ولكنّه رفض العرض –

كثرة فرض العمل في الزراعة والسياحة والمعسكرات البريطانية في الجليل الغربي، إضافة الى أنّ البصّيّ فضّل أن يعيش في قريته ولم يبرحها كباقي سكان القرى الاخرين مهاجرا عبر البحار. كما أنّ قسمًا كبيرًا من سكان القرى المجاورة، خاصة في جنوب لبنان، وجدوا مصدرًا للرزق في هذه البلدة وسكنوا فيها مثل بعض سكان الشيعة.

تقسم القرية إلى قسمين أو حارتين:

الحارة الشمالية والحارة الجنوبية، وقد بنى السّكّان بيوتهم على هضبة قليلة الارتفاع، ثم اخذ البناء يتوسع شمالًا، الى منطقة باط الجبل القريبة من سفوح جبل المشقح كما أقيمت المباني باتجاه الجنوب على تلة جبيل.

يشار الى ان اغلب سكان البصّة من المسيحيين الارثوذكس والكاثوليك. والقسم الأقل من المسلمين وغالبيتهم من السنّة والقليل منهم شيعة.

اما العائلات المسيحية فهي:

صبّاغ، نحّاس، الصايغ، رضا، معلوف، حدّاد، واكيم ، الخوري.

ومن العائلات الإسلامية:

الأحمد، درويش، كنعان، الجمل، توفيق، العلي، الخطيب، ملحم، الأشقر، الحاج.

(يتبع)

اللبنانية بيزيدوا ع التبولة
بَنَاااددووووورة

بتركيا بيخلطوا البرغل الناعم
بِمَيِّة البندورة

أمّا تبولة بلادنا مع برغل ناعم نخلة

بِهالبَساطة؟!! بِهالزكاوِة.